شريف صالح

حارس الفيسبوك

رواية

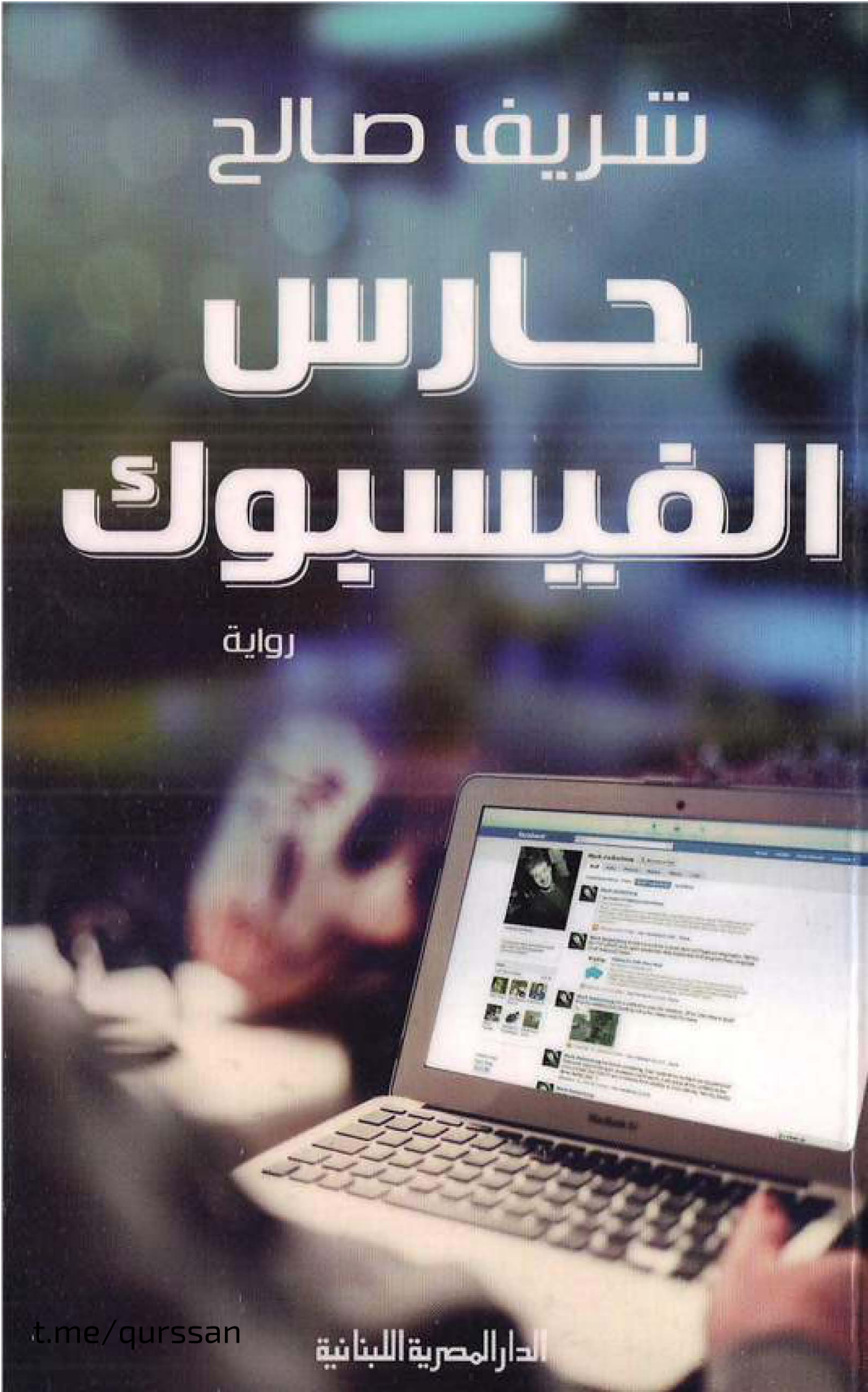

t.me/qurssan

الدار المصرية اللبنانية

شريف صالح

حارس الفيسبوك

رواية

t.me/qurssan

إهـــداء

إلى رضوى فرغلي

t.me/qurssan

36

تقرير موقع «فيروس»

9:00 AM

«كتب عادل شوقي:

ماذا تفعل لو انهارت صفحتك إلى الأبد.. سقطت مثل ورقة شجر؟ لو أصبح بإمكان أي شخص أن يرى «الشات» الذي تقوم به.. ويتلصص على رسائلك الخاصة؟! هذا ما حدث في الفيسبوك.. ففي حوالي التاسعة مساء أمس انهارت الأيقونات والبروفايلات وألبومات الصور.

«يوم القيامة الافتراضي» كما أطلق عليه المستخدمون. فجأة اختفى كل شيء تحت سيل الإعلانات. نقاط زرقاء راحت تتحرك فوقها أيقونة بحجم فراشة، تشبه امرأة عارية. وقد حذر خبراء أمن المعلومات من أيقونة تلك المرأة الزرقاء؛ لأنها تحمل فيروسًا بالغ الخطورة.. بينما قلل البعض الآخر من شأنها ووصفها بأنها مجرد «دودة إلكترونية». وأشار عالم السيمياء نيل باترسون إلى أن إطلاق اسم Boudicca على

t.me/qurssan

تلـك المرأة، يعود إلى ملكة كلتية حاربـت الرومان وفضلت أن تنتحر على الوقوع في الأسـر. ورجح أن يكون اختيار الأزرق إما لأنه اللون الطاغـي في الفيسـبوك، أو لأنه يرتبط بذكرى هجـوم قيصر روما على بريطانيـا بحثًا عن الذهـب، حيث رأى الجنود الرومـان أن المحاربين الكلتيـين كانوا يطلون أجسـادهم بالأزرق. كما كانت نسـاؤهم نصف عاريـات، ويغطي اللـون الأزرق الأجزاء العارية من أجسـادهن. ففي ذلـك اليـوم البعيـد، ربط الرومـان ـ للأبـد ـ بيـن الأزرق والانحطاط والتوحـش، بعدمـا علمـوا أن الكلتيـين يحصلون عليه مـن صبغة يتم تخميرها في بول بشر أو حيوان!

لكن جيمس شـيفر كبير محرري عالـم الإنترنت في صحيفة لوس أنجلـوس تايمز تهكم على تأويلات باترسـون التي توهـم بأن بوديكا لـم تنـس أن الرومان قتلوا أكثر من 80 ألفًا مـن الكلتيين؛ لذلك عادت لتنتقـم بعد ألفي عام! فمـا ذنب ملايين المسـتخدمين الذين أضيروا؟ هـل كانـوا جنودًا في جيـش الرومان حتى تنتقم منهم؟ وقال شـيفر إن هـذا الكلام يصلح أكثر في روايات دان براون، مؤكدًا أن هذه الأيقونة تشبه بطلة فيلم «آفاتار» أكثر مما تشبه الملكة بوديكا!

ورأى خبيـر أمن المعلومات الصيني ليو تشـونج، أن ربط ما جرى بالملكة الكلتية يهدف إلى إلهاء ملايين المستخدمين بقصة أسطورية؛ لتجنيب إدارة الشـركة مسـئولية ما حدث، وعدم دفـع أي تعويضات، أسـوة بمـا يحـدث للنـاس مـن أضـرار عندمـا يفقـدون حقائبهـم في

t.me/qurssan

المطارات. ولم يستبعد تشونج أن يكون العالم قد شهد أكبر عملية قرصنة في تاريخ البشرية، قامت بها شركات في الدعاية والمعلوماتية للسطو على معلومات أكثر من مليار مستخدم.

من جانبها لم تعلق إدارة الفيسبوك على آراء الخبراء، لكنها قررت حذف كافة المواد والروابط التي وضعت خلال الساعات الأخيرة. وجاء في بيانها: «تعتذر شركة فيسبوك عن الخلل الذي ضرب الموقع في أكثر من عشرين دولة، وقررت لدواعي الأمن الإلكتروني، حذف جميع المواد والتعليقات والحسابات والرسائل والتدوينات التي تمت إضافتها منذ الساعة التاسعة من مساء أمس وحتى لحظة إعادة التشغيل».

وقد ترددت تقارير عن خسارة ملايين الدولارات في البورصة، فيما اكتفى مارك زوكربرج ببيان مقتضب تم بثه بـ 99 لغة، أكد فيه أن الشركة لا تطلق الخدمات لكسب المال، بل تريد كسب المال لبناء خدمات أفضل.

وكان السؤال الذي تكرر في بوستات الكثيرين: هل من الممكن الثقة في الفيسبوك حين يعيد صفحاتهم مرة أخرى.. إلى الحياة؟!

t.me/qurssan

35

اثنان في ورطة ومنقذ واحد

9:00 AM

رنين لا ينقطع. لا تدري هدى منذ متى يرن الموبايل. استغربت أنها كانت تبكي وهي نائمة. كان صوت خالها يصلها واهنًا. ليست متأكدة أنها استيقظت تمامًا رغم أن ضوء شمس مايو كان يخترق زجاج الشباك والستارة الشفافة. توقعت أن تنام حتى الظهر طالما أن اليوم إجازة رسمية.

كانت نائمة، الموبايل على يمينها واللاب توب على يسارها.

ـ «ألو»

ـ «إلحقيني يا هدى»

هرولت حافية إلى الحمام، الذي تتركه مضاء؛ لأن ليلىّ ابنتها تخشى العتمة. غسلت وجهها ولم تضع أي ماكياج ثم انزلقت بجسمها في «ترننج» بنفسجي قاتم ولمت شعرها من الخلف بمنديل مشجر.

t.me/qurssan

حملت ليلى نائمة على كتفها وهبطت الدرج وهي تلهث. استقلت أول تاكسي أبيض لاح لها، كان مكتوبًا عليه: «حلاوتك يا كيداهم». لكنها لم تر تلك الكلمة الخالدة التي تطوف مع التاكسي في شوارع القاهرة.

انطلق بها التاكسي في شارع جانبي كثير المطبات والحفر. كانت ليلى مازالت نائمة يرتج رأسها على كتف أمها التي تجلس شاردة شبه منهارة.

لا تعرف ماذا ارتدت ولا كيف أوقفت التاكسي. عادة تستخدم للموبايل نغمات رقيقة. لا تريد أن تسبب للكون المزيد من الضوضاء برنة موبايلها، حتى لو حدث أنها هي نفسها لم تنتبه لنغمة كونشرتو البيانو لرحمانينوف.

كأن الدقائق التي مرت عليها منذ اتصال خالها سقطت من ذاكرتها. هل أخبرت السائق بالذهاب خلف قاعة سيد درويش أم لا؟! من باب الاحتياط أعادت عليه الجملة التي تظن أنها قالتها:

ـ «من فضلك يا أُسطى..عند قاعة سيد درويش»

ـ «من عيني»

لحسن حظها كان السائق من ذلك النوع الذي يحتفظ بمفردات مهذبة تريح الزبائن ويتفهم بسرعة أن هناك كارثة ما، دون أن يدفعه الفضول لمعرفة تفاصيلها. اكتفى بمراقبتها من المرآة أعلى رأسه، وهي تعاود الاتصال:

t.me/qurssan

ـ «رد علي يا خالو»

لا أحد يجيب على الطرف الآخر. همست في سرها: «استر يا رب». هل ارتفع ضغطه فجأة؟ أكثر من مرة نبهته إلى عدم التساهل وتناول «الديوفان» في ميعاده. في عيد ميلاده الأخير، في مارس الماضي أهدته مبسمًا فاخرًا، صناعة يدوية، من العاج والصدف، لكنه احتفظ به ولم يستعمله. قال لها إن استعماله يجرح شعوره لكونه يساريًا فديمًا، يخشى أن يُفسد يساريته بسبب مبسم سيجارة فاخر!

قبل أن يتجه التاكسي إلى شارع حسن محمد رن الهاتف في قبضة يدها، فتحته لا شعوريًا ظنًا منها أنه خالها، ولم يخطر في بالها أن يكون المتصل «عبد الرحمن» زوجها.. منذ أسبوع لم يتذكرها بكلمة، والآن فجأة يتصل بها! في جمل مقتضبة أخبرها أنه في قسم شرطة إمبابة وتجنب سرد الحكاية بالتفصيل.

طلب منها أن تذهب لأبيه وتأخذه إلى البنك كي يسحب عشرين ألف جنيه ثم تأتي إليه في القسم بالمبلغ! استمعت إلى رتابة صوته وكلماته التائهة، وهي أقرب إلى الذهول، لم تسأله: قسم الشرطة؟ عشرين ألف جنيه؟! لم تشعر بذلك الرعب الذي كان يمكن أن يصيبها إذا قال لها نفس هذا الكلام، في وقت آخر.

أعاد الجملة كأنه يستدر عطفها:

ـ «أنا في قسم الشرطة يا هدى! سامعاني؟»

t.me/qurssan

ظلت صامتة كي لا تعطيه الانفعال الذي يتوقعه. حتى وهو يطلب منها إنقاذه من الورطة لا ينتبه أن اليوم إجازة بسبب انتخابات الرئاسة! طلبت من سائق التاكسي أن يركن على جنب. أحست بالحاجة إلى الوقوف قليلًا.. السكون.. وأن.. تتنهد بعمق.. وحدها.

خالها في أزمة.. وربما... بعيد الشر عنه.. و... الرجل.. الرجل الذي يفترض أنه زوجها.. في قسم الشرطة.. مشكلته الوحيدة الآن أن يحصل على عشرين ألف جنيه.. بعد أن يخرج من الورطة سيحدثها أنه مولود من جديد.. إنسان آخر.. ثم بعد 48 ساعة فقط تنهار الحياة الجديدة ويجد نفسه متورطًا في مشكلة أخرى تدفعه للانفجار في وجهها بأنها هي السبب.. هي التي دمرت حياته!

عبر المرآة، بوغت بها السائق وهي تبكي بنشيج مكتوم. هرش شاربه العريض بسبابته ولم يقطع عليها بكاءها.. أشعل سيجارة وراح يدخن ببطء. وبعدما قذف عقبها في الشارع تطلع في وجهها:

ـ «أطلع يا مدام؟!»

هزت رأسها باقتضاب: «اطلع يا أُسطى»، قالتها بصعوبة.. وبطريقتها المنغمة، ثم ضمت رأس ابنتها إلى حضنها. كانت وردة تغني في راديو مونت كارلو:

«دا مهما يقابلنا في سكة سفرنا..

كله راح يعدي..»

t.me/qurssan

34

صدر صوفي هوارد

8:40 AM

مـازال زيـزو مـسـترخيًا فـي الفـراش. كان يفكر في مصيـر مهلبية، ومصير الكوتشـي الذي نسيه بجوار سـريرها. مر به هاجس أن عضوه لن يقوم مرة أخرى بعد الصدمة التي تعرض لها.

لأول مـرة فـي حياته يعود إلى شـقته حافي القدمين. لحسـن حظه كان الوقت مبكرًا، والتاكسـي أوصله حتى مدخل العمارة فلم يره أحد وهو يسـير في الشارع بلا حذاء. كان سائق التاكسي يضع على الزجاج الأمامـي ملصقًـا «لو بتحبني ليه سـيبتني» بطريقة تجبـر كل من يركب معه أن يفكر في هذا السـؤال. أحس بالراحة لأداء الطبلاوي وهو يتلو سـورة «يوسف» رغم خرفشـة الصوت. على إيقاع التلاوة راح يراجع كل ما دار حتى اللحظة التي كبس فيها رشدي وكاد أن يخلع باب غرفة النوم.

أكثر من نصف ساعة وهو مستلق يتحسس ذكره ويفكر في الورطة التـي وقـع فيهـا. فجـأة تذكـر موعده مـع «صوفي هـوارد» فـي مقهى

t.me/qurssan

«سكر زيادة».. المغامرة لا تداويها إلا مغامرة أشد منها.. المسافة لن تستغرق أكثر من عشر دقائق على قدميه. لم يكن قد خلع التي شيرت النبيذي والبنطلون الجينز، لكنه تشاءم منهما، فبدلهما إلى تي شيرت أزرق وبنطلون رمادي.. ثم هبط سريعًا على السلم وهو يغلق سحاب البنطلون. انطلق ممتنًّا لنسمة الهواء المنعشة.

جلس في ركنه المعتاد الذي يسمح له بالخصوصية وتدخين الشيشة، وأيضًا لا يحرمه من متعة النظر عبر النافذة إلى الفتيات والنساء العابرات في الصباح. كانت النافذة مفتوحة على الشارع بطول الجدار. الصباح مشمس وهادئ خصوصًا أن اليوم إجازة. شاشة اللاب توب مضاءة أمامه. واصل سحب الوول إلى أسفل. ليس في أفضل حالاته، ولا يعي بدقة ما الذي يكتبه هؤلاء السخفاء فور أن يستيقظوا من نومهم! دائمًا يعملون من الحبة قبة، فلو مات ممثل عجوز تجاوزته الدنيا، قامت قيامة زبائن الفيسبوك وفتحوا صفحات عزاء.. ولو نكتة فرقعت يعيد الجميع تشييرها بلا رحمة.. نفس المحزنة والقلش على الانتخابات.. نفس الكلام عن انهيار الفيسبوك أمس.. هل ستشي مهلبية باسمه وتورطه مع زوجها أم لا؟ هل سيكون الكوتشي دليل إدانة ضده؟ للحظة تخيل أن زوجها استولى على صفحتها وكتب رسالة موجهة إليه شخصيًّا: «حتى لو اختفيت في بطن أمك.. مش هاتفلت مني يا ابن ال.....»!

ترك اللاب توب والقهوة على الطاولة ومضى إلى كشك السجائر الملاصق للمقهى. كان على الجانب الأيمن للكشك صورة كبيرة

t.me/qurssan

لراعـي البقر الشـهير وهو يرتـدي قبعة الكاوبـوي والقميص الأحمر. كان يشعل سيجارته ويحدق فيه بنظرة قاسية. منذ شهور وهو يمر عليه ويراه وهو يشعل سيجارته.

للمـرة الثالثـة اتصـل بمهلبية. لم ترد. عـاد إلى جلسـته وراح يهز رجليه بعصبية ويداعب عضوه من جيب البنطلون. طلب من «عماشة» صبي المقهى أن يُخفض صوت التلفزيون. كان هناك تقرير عن اللجان التي بدأت فتح أبوابها للناخبين.. وعلى الشاشـة أبواب مدارس خالية يحرسها جنود بائسون ولا يظهر ناخب واحد.

وهو يدخن، ألحت عليه فكرة أن يفتح صفحتها. لو لم يكتب زوجها رسـالة موجهة إليه، فقد تكون هي كتبت شـيئًا يعطيه إجابة عما حدث بعدما تركها وهرب! فوجئ بتغيير cover صفحتها من حقل اللافاندر، إلى لوحة سـوداء في وسـطها: «يا أيتهـا النفس المطمئنـة ارجعي إلى ربك راضيـة مرضية». حتى صورتها في البروفايـل تغيرت إلى صورة غائمة كان قد رسمها بنفسه عندما زارته لأول مرة في شقته.

معقـول زوجهـا الكلـب تهـور وقتلهـا؟! مـر ببصـره سـريعًا على التعليقات. لا إجابة حاسـمة بأنها قُتلت! حكاية غامضة وغريبة يرويها شخص يدعى «أمبيك» عن اغتصاب مهلبية وقتلها في أحراش كرداسة! ثم تكذيب من «الأسـتاذة»! فكـر أن يتصل بـ«الأسـتاذة» ويتأكد منها، ثـم تراجع. لعـن أم دماغ الناس في سـره. ما الذي يحـدث بالضبط؟! عشـرات المعجبيـن كانـوا يتهافتـون ويتعلقـون بذيـل صورهـا. الآن

t.me/qurssan

لا أحد من هؤلاء يعطيه إجابة واضحة! ما سر الحداد في صفحتها؟! قد يكون زوجها اكتفى بضربها ثم رمى يمين الطلاق عليها وانصرف بهدوء. حتى لو كان قتلها فعلًا من الذي سيغير الصور في صفحتها بهذه السرعة؟ انتبه إلى أن توقيت وضع صور الحداد في صفحتها، يتزامن تقريبًا مع نفس اللحظة التي كانت فيها نائمة وهي تضحك في حضنه وتدغدغه.

سحب نفسًا عميقًا. قرر أن ينسى الأمر كله، ولن يرد على أي رقم غريب قد يتصل به، إلى أن تتضح الحكاية. اتصل بـ«صوفي هوارد» فأخبرته أنها الآن عند ميدان سفينكس. عندما وصلت وصافحته بيدها الدافئة، اكتشف أن وجهها الخمري مقبول، وأيضًا جسمها ملدن من النوع الذي يثيره. أما هي فادعت الذهول عندما رأته وقالت:

ـ «بصراحة ومن غير لف ودوران أنت فيك كل مواصفات فارس أحلامي».

لابد أنها قالت لعشرات قبله إنهم يطابقون فارس أحلامها. طُعم جيد، ومقلق في نفس الوقت.

كان مرتابًا. لا يريد التورط معها، قبل أن يستكشفها جيدًا. خصوصًا بعدما حدث له. جلست أمامه وأراحت خدها على طرف إصبعها، كأنها خرساء تتعبد في وسامته التي لا يشعر بها. فجأة كانت تدير وجهها وتضحك. ظلال الشمس المنعكسة من نافذة المقهى كانت تضفي على وجهها إثارة عندما تنفجر بالضحك.

t.me/qurssan

فـي هـذا الوقـت كان المقهى شـبه خال مـن الزبائن باسـتثناء ثلاثة عجائـز جلسـوا متباعديـن، ولا أحـد منهـم يتابـع التقريـر الخـاص بالانتخابـات الـذي يُعاد للمرة الثانية في أقل من سـاعة، بنفس الكلام ونفـس الصور. شـعر بالحرج لرنين ضحكتها، أمـا هي فتلفتت حولها في المقهى وقالت بابتسـامة لئيمة إنها تشم رائحة لبن محروق!

انشـغل بفتح حقيبته ثم أخرج هدية غيـر متوقعة. تضاعف ذهولها وهي تمرر يدها على السوتيان الكحلي المبطن بالحرير. كان قد اشتراه منذ أيام ووضعه في حقيبة اللاب توب كي لا ينسـاه عندما يلتقي بها.

ـ «إزاي عرفت مقاسي بهذه الدقة 40 E؟!»

لم تصدق أنه خمن المقاس من حجم صدرها في البروفايل.

طفـرت عيناهـا بالدمـوع وهـي تخبـره كيـف تجـاوزت الثلاثيـن ولا أحـد غيرهـا يعرف مقـاس صدرها! أعـذب دموع رآهـا في عيني امـرأة. في ملامحها شـيء سـاذج ومثيـر للضحك. واصلت التسـبيل بعينيها الدامعتين بطريقة تتجاوز امتنانها لهدية السـوتيان.

هـو لا يغيـر اسـتراتيجيته مـع أي امـرأة يتعـرف عليهـا، وهديتـه لا تتغير.. سوتيان أو كلوت.. ومهما أبدت المرأة صدمتها في البداية، كانـت تقبلها وهـي مستسـلمة لذلك الشـعور اللطيف بسـبب تفكيره الحميم جدًّا فيها. وفي حال نجاح الخطة وذهابها معه إلى الشـقة كان يُصـر بالمقابـل أن تهديـه الكلوت القديـم المعطر برائحتهـا الخاصة.

t.me/qurssan

لديه دولاب كامل أو كما يسميه أرشيف السوتيانات والكلوتات التي تختلط فيها العطور برائحة العرق والشهوة.

أخفت الهدية سريعًا في حقيبة يدها. ضاعت معظم كلماتها وهي تكرر امتنانها قبل أن تعترف له أنها معيدة في كلية الحقوق، وأنها تجاوزت الثلاثين ولم يلمسها رجل حتى الآن.

سألها مباشرة عما إذا كانت تريد ممارسة الجنس أم غراميات روميو وجولييت! كان سؤاله فظًا لكنها لم تتضايق بل قلبت يديها في الهواء على طريقة «مش عارفة»! لمح اهتزازة عصبية في يدها اليمنى فأمسك بها لكنها انتفضت كالملسوعة واندفعت بالكرسي إلى الوراء:

ـ «مالك يا حلوة؟»

ـ «ولا حاجة.. بصراحة أنت أول راجل يلمسني»

افتعل الضيق والوجوم وهو في قرارة نفسه لا يصدقها. قطعت لحظات الصمت بأن اقترحت عليه تناول الإفطار في مطعم «التابعي».

أثناء السير، ورغم ضجيج الشارع والسيارات كان يسمع صوت أنفاسها اللاهثة. يشعر بها وهي تبذل أقصى جهدها كي ترفع مؤخرتها وتجرها. كتلة رجراجة منفصلة عن بقية جسدها. أصابه الذهول لضخامة ردفيها، رغم أنه كرر التلصص عليهما من زاوية جانبية. كانت أضخم مما شاهده في الصور. قال مازحًا وهو يختلس النظر مجددًا إلى حركة مؤخرتها:

t.me/qurssan

ـ «أكل الفول والطعمية خطر عليك يا جميل!»

كان يخطط لشراء الساندوتشات ثم الذهاب إلى شقته، لكنه تردد. تخيل نفسه هو الذي هرب حافيًا منذ ساعتين.. والشرطة تقبض عليه مع عانس لا يعرف حتى اسمها!

سألها عن عدم زواجها حتى الآن، فاعتذرت عن الإجابة على هذا السؤال تحديدًا. حتى لو حسم أمره وأخذها إلى الشقة، حتمًا سيحتاج لمساعدة اثنين أو ثلاثة لدفعها كي تتمكن من صعود السلالم الحلزونية الضيقة. وهذا مأزق أن تواعد امرأة قبل أن تعرف حجم مؤخرتها. وإذا وافقت بسهولة وصعدت معه إلى الطابق الرابع، وبسبب تماس كهربائي، أو أي سبب آخر لعين، شب حريق في العمارة واقتضت الشهامة أن يحملها على ظهره وينجو بها، فالموت حرقًا أهون عليه من الموت تحت ردفي «صوفي هوارد».

t.me/qurssan

33

طريقة من ألف طريقة لتهذيب مواطن

8:40 AM

وصل عبد الرحمن إلى قسم شرطة إمبابة وهو يدفع كرشه الصغير أمامه. لم ينم طول الليل، كأنه كان ينتظر وقوع هذه المصيبة.

ـ «خير يا باشا؟»

ـ «خير.. خير»

رد أمين الشرطة باستعلاء واستخفاف.

اختلس عبد الرحمن نظرة في اتجاه مهلبية. لأول مرة يراها في مكان عام من دون النقاب. أدارت وجهها إلى الناحية الأخرى، حتى لا يفهم الآخرون أنها تعرفه.

التزم زوجها الصمت كما أمره عبد القوي أمين الشرطة الذي أمسك عبد الرحمن من كتفه وسحبه إلى غرفة السلاح في نهاية ممر لا تدخله الشمس.

t.me/qurssan

قبل أن يمضي إلى الممر التفت إلى زوجها الذي كان يدخن بشراهة وهو منفعل. دخان السيجارة يحوم مثل سحابة فوق صلعته. كان يتعمد أن يسمعه الكلمة التي يكررها:

ـ «كله إلا الشرف»!

كانت مهلبية تجلس على بعد خطوتين من زوجها وهي تنظر في الأرض، رأسها ملفوف بضمادة عليها بقع حمراء، وهناك كدمة زرقاء أعلى الخد. يدها اليسرى كانت ملفوفة في رباط ضاغط ومعلقة برباط آخر في رقبتها. لا تعرف برغم كل ما جرى لها كيف احتفظت بالموبايل في يدها حتى هذه اللحظة! فكرت في الاتصال بصديقتها «الأستاذة». صحيح هي ليست محامية لكنها دكتورة في القانون. تراجعت عن الفكرة تجنبًا لتعقيد الأمور. رشدي بعد أن يحصل على المبلغ المطلوب سينسى كل شيء وسيزورها الأسبوع القادم كأن شيئًا لم يكن. لن يحدث أسوأ من علقة الموت التي نالتها.

انتبهت إلى أرقام غريبة اتصلت بها أربع مرات. كان زيزو قد اتصل بها أكثر من مرة أثناء فبركة عبد القوي، بلديات زوجها، للمحضر.

أدلت بأقوالها منذ نصف ساعة، كما اتفق معها رشدي، دون أن تزيد أو تنقص حرفًا. توقعت أن الأمور ستمر على خير، فالإجراءات كانت تتم بسرعة ولا داعي للتصعيد من جانبها في هذه اللحظة.

داخل غرفة السلاحليك الضيقة، ووسط قطع السلاح العتيقة، المعلقة على الجانبين، ورائحة البارود، تحدث أمين الشرطة مع

t.me/qurssan

عبد الرحمن عن الفضيحة بالتفصيل، المحضر حتى الآن مجرد «ضرب وتعدٍّ على أنثى».. ولأن الصول عبد القوي لا يحب الكلام في أعراض الناس، شرح له أن زوجها يصر على إثبات قضية «اغتصاب وهتك عرض بالإكراه»، ورفع في وجهه دليل الاغتصاب: «كوتشي بوما» كان رشدي قد التقطه من أسفل السرير وحرزه في كيس بلاستيك أسود.

عبد الرحمن استمع إلى القصة ذاهلًا ولم يفهم أي شيء سوى أنه متهم بضرب زوجة مواطن محترم، وهناك تقرير طبي يثبت تعرضها لكدمات في الوجه واشتباه في كسر الذراع؛ لأنها رفضت تحرشه بها فحاول اغتصابها عنوة. انتبه إلى إصرار الصول عبد القوي على تكرار كلمة «عنوة».

أخذ نفسًا وأخرجه ببطء وهو يستمع إلى تفاصيل المحضر. ابتلع ريقه ونفى أن يكون هو الرجل الذي فعل كل ذلك وأنكر معرفته بالكوتشي، مؤكدًا أنه ليس على مقاسه!

عاد الصول للكلام معه وديًّا كإخوة، وهو يحفر في أذنه بطرف القلم الجاف. شرح له أن الإنكار لن يفيد و«الحُرمة» اعترفت أنك اقتحمت غرفتها من على مواسير الصرف الصحي وحاولت اغتصابها، وربنا يعلم خففت كلامها مراعاة لمستقبلك وإنك ابن ناس. المجني عليها اعترفت بكل شيء ودلت على اسمك وأوصافك ورقم هاتفك غير

t.me/qurssan

الحـوارات السـاخنة معها علـى الفيس فيس.. وأنا رفضـت إثباتها في المحضر، لكن تخيل لو الموضوع وصل النيابة.. غير الفضيحة وأنت محاسب محترم وابن ناس.

أخيـرًا التقـط الخيـط الخفي من طريقـة كلامه، وإصـراره أنه «ابن ناس». سـأله عن المطلوب لتسوية المسألة وديًّا، فقال إنه أقنع زوجها بالتنـازل عـن المحضر وديًّا مقابل عشـرين ألـف جنيه. كلمـة «وديًّا» كانـت بمثابة سـيم مهذب بيـن الاثنين.. حالة الذهول لـم تفارق وجه عبـد الرحمن.. المؤامرة محبوكة ضده! لا يكفيه لو خرج الآن وركلها في بطنها. بنت ال....!

ـ «فكـر براحتـك.. وصدقني.. خسـارة الفلوس وديًّا أحسـن من الجرجرة في النيابة والمحاكم».

نهض الصول من وراء المكتب:

ـ «اشرب شايك وفكر»

عـاد إلـى الاسـتقبال، فرآهما كمـا تركهمـا. كانت جالسـة متورمة الوجه وهو مازال يدخن ويسب.

ـ «روق يا رجل!»

ـ «لو تخدمني يا عبد القوي يا أخويا لبسه قضية حشيش»

ـ «يا عم رشدي الناس فتحت عينيها بعد الثورة.. روق روق»

تبادلا سـيجارتين. طلب منه ألا يرى وجه ابن ال... طمأنه الصول

t.me/qurssan

ثم انقطع الحوار عندما دخل القهوجي بالشاي وساندوتشات الفول:

ـ «أحلى اصطباحة»

أصر عبد القوي على رشدي أن يأكل. لم تتوقع مهلبية أن يناولها ساندوتشًا ملفوفًا في ورقة بيضاء مزيتة. هزت رأسها رافضة، فعنفها زوجها:

ـ «كُلي يا بنت ال.....»

راحت تمضغ الساندوتش على مضض فيما تشاغل زوجها بقراءة صفحة الحوادث في «الجمهورية» وكان المانشيت الرئيسي عن لغز العثور على شابة قتيلة في زراعات كرداسة، بجواره إعلان ربع صفحة:

«امتلك شاليه في العين السخنة بمقدم 20 ألف جنيه»

ظل عبد الرحمن لدقائق بمفرده في السلاحليك، لترتيب دماغه واتخاذ القرار كما طلب منه الصول.. إما دفع عشرين ألف جنيه مقابل التنازل عن المحضر أو ترحيله إلى النيابة. كل الأدلة تقريبًا ضده، ومن يدري ألا يكون أمين الشرطة نفسه متواطئًا مع زوجها لابتزازه! تذكر أنه كان أخبر مهلبية بأن والده المدير العام السابق في وزارة التربية والتعليم يحتفظ للزمن بحوالي 300 ألف جنيه في حسابه في البنك. الله أعلم إذا كان والده حصل على الفلوس بطرق فوق أو تحت مستوى الشبهات.. الله أعطى.. الله أخذ.. الله عليه العوض.. لكن

t.me/qurssan

والـده عجوز ومريض ولا يقـوى على الذهاب إلى البنك وحده. ليس أمامه سـوى هدى. ماذا سيقول لها؟ وماذا سيكون رد فعلها إذا جاءت إلى هنا ورأته مثل طفل مذنب بجوار واحدة.... وزوجها؟!

عاد الصول وسأله عن القرار. شرح له وديًا أنه لم ينم معها، وعلاقته معها بدأت منذ شهرين فقط وكلها كلام في كلام.. في التليفون وعلى الشـات. لكن عبد القوي واجهه وكرر الكلام نفسـه بأنهـا تعرفه جيدًا ووصفتـه بدقـة، فتراجع واعترف أنه التقى بهـا فعلًا مرة أو مرتين فقط في أحد المولات في المعادي. قالت له في التليفون إن جسـمها يشـبه جسـم نرميـن الفقي فشـعر بالفضـول لرؤيتهـا! كركر عبـد القوي من الضحك:

ـ «نرمين الفقي مرة واحدة!»

نصحـه بتجهيز المبلغ خلال سـاعتين من الآن. عـاد عبد الرحمن لاسـتعطافه بأنـه غير معقـول أن يدفع هذا المبلغ لامـرأة «لا مؤاخذة» وبالتأكيد نام معها طوب الأرض! هنا وقف عبد القوي متضايقًا، ليس دفاعًـا عن سـمعة زوجـة صديقه بل لأن مبلغ عشـرين ألـف جنيه تافه ولا يحتمل كل هذا اللف والدوران. ضرب المكتب بكف يده: شوف يا ابن الحلال.. هي فعلًا واحدة لا مؤاخذة.. وزوجها نفسه عارف إنها لا مؤاخذة..... وكله إلا الشـرف.. لكن ركز معي.. فيه محضر ضدك وقضيـة.. قدامـك سـاعتين.. ولا أنت فاكر اللعب مـع «نرمين الفقي» بالمجان؟!

t.me/qurssan

32

إذا لم ترد الزوجة على تسع رنات. . . .

7:17 AM

رن رشدي على موبايلها للمرة التاسعة. عند وصوله إلى الرنة رقم «9» تحركت في أعماقه خيالات فاحشة بشأن ما تفعله زوجته الآن.

في حوالي الرابعة صباحًا كان قد اتخذ قرارًا مباغتًا وركب البيجو الأجرة قادمًا من الزقازيق. يعرفها! الكلبة لا تنام إلا بعد الفجر! كانت الخيالات الفاحشة تعاوده وتختفي طول الطريق، إلى أن سيطرت عليه.

كان آخر أزواجها، مع ذلك لا يعرف أن زوجته مشهورة في المهندسين والعجوزة وعلى الفيسبوك بأربعة أسماء على الأقل.

كهل في الخمسين من عمره، ملامحه غليظة أكثر مما يجب، وله صلعة كبيرة آخر لمعان. محمر العينين طول الوقت من كثرة شرب الحشيش والبانجو، ورائحة فمه مثل بالوعة مهجورة.

t.me/qurssan

تعوّد أن يقضي طول الأسبوع عند أم عياله في الزقازيق ولا يأتي إلا مساء الخميس، يقضي معها يومين ثم يعود مساء السبت. لكن مهلبية تُفهم الجميع أنها مطلقة وأحيانا تكتب: «الوضع معقد».

رشدي طبعًا يخمن منذ زمن أن زوجته تلعب بذيلها، لكنه يفضل أن يستثمر شكوكه فيها.

قرر أن يزورها فجر الأربعاء، رغم انقطاع الكهرباء وكثرة الكمائن الأمنية على الطريق السريع والانشغال بالانتخابات التي ستجرى اليوم.

كان مثل الشيخ فواز، زوجها السابق، يسقطها من حسابه نهائيًا خمسة أيام ثم يظهر فجأة ليلة أو ليلتين ويمضي. لا يفكر مرة واحدة طول أيام الأسبوع أن يرسل لها رسالة ولو بالخطأ ويقول لها: «وحشتيني».

تأتيها رسائل من السعودية والكويت والعراق والسويد وإمبابة وعين شمس، من ناس على كل شكل ولون يقولون لها: «وحشتيني»، لكن الرجل الذي تزوجته لا يقدر على كتابة هذه الحروف السبعة! أي امرأة معذورة في ارتكاب الحماقات إذا لم تحظ بهذه الحروف السبعة.

ليس شرطًا أن تكون زيارته الأسبوعية لممارسة الجنس، فهو تجاوز الولع بهذه المسألة، وإن كان جيب الصديري تحت جلبابه لا يخلو من قطعة حشيش. تعودا على الاسترخاء وتدخينها معًا. وفوق

t.me/qurssan

البيعة تمتعه برقصها. ليس هو وحده من يقر ببراعتها في الرقص، فكل من تزوجتهم أو لم تتزوجهم، يشهدون لها بذلك. وكانت أمنيتها في الحياة إرسال فيديو رقص لها على أغنية «الست لما» إلى قناة «التت» لولا خوفها أن يقطّعها أخواها حية.

كان رشدي يحمل نسخة من مفتاح الشقة رغم اعتراضها بأنه لا يحتاج إليه طالما هي موجودة في البيت 24 ساعة. وحينما لم ترد على الرنة التاسعة، فتح باب الشقة بحذر، ثم سار على أطراف أصابعه، بما يتناسب مع هواجسه وخيالاته الفاحشة، ثم انقض فجأة على باب غرفتها المغلق بالمفتاح من الداخل، وهو يصيح ويسبها بأقذر الألفاظ.

في الداخل، كانت مهلبية خلعت قميص نومها الذي يشبه ملابس الجواري في الأفلام القديمة واستلقت بدلع في الفراش. تركت الموبايل صامتًا على «الهزاز» بجوار اللاب توب. حتى هذه اللحظة تجمع على شاشته 33 مسدكول.. تسعة من زوجها، وأربعة من صديقتها «الأستاذة» وعشرة من أصدقاء تعرفهم والبقية من آخرين لا تعرفهم.

رغم الإضاءة الرومانسية الخافتة، عكست مرآة الدولاب مؤخرة «زيزو» الهزيلة وهو نائم فوقها. ثمة شعر خشن ملتف يغطي وركيه، كان لا يروق لها كثيرًا.. انتبهت إلى محاولة رشدي لفتح الباب قبل أن يركله ويصيح ويسبها. بطبعه لا يبالي بأبيها العاجز في الغرفة

t.me/qurssan

المجاورة ولا بالجيران. سبق لها أن ذاقت قبضات يده التي ورمت خدها وشفتيها على أمور تافهة جدًّا. إذا كان مزاجه سيئًا يأتي من الزقازيق خصيصًا كي يذيقها علقة ساخنة ثم يمضي!

سحب زيزو مذعورًا التي شيرت النبيذي من تحت كعبها والبنطلون الجينز من على الكرسي المكسو بالقطيفة. دفع بقدمه باب بلكونة الدور الثاني منزلقًا على ماسورة الصرف الصحي. انتبه إلى فأر يجري أمامه ولم يتذكر أنه نسي كوتشي البوما الأسود إلا بعدما أكمل ارتداء ملابسه وسط الشارع.

t.me/qurssan

31

ماوس يتدلى من السماء

7:17 AM

كانت الشوارع مرصوفة وخالية من البشر والسيارات. هزيز ريح عاصفة. رأت هدى نفسها وهي تجري عارية وتداري ثدييها المتهدلين بكفيها. صرخات آتية من نوافذ مفتوحة. صوت زجاج يرتطم ويتكسر ببطء.. لم تلتفت نحو الأصوات، بل ظلت تجري مندفعة إلى الأمام.

يسقط أمامها ماوس عملاق يتدلى بحبل معدني رقيق من السماء، تتعلق به. تضغط بقوة يديها على الماوس فتنفتح أمامها عشرات النوافذ لمواقع إلكترونية. تضغط وتضغط فترى إشعارات التعليقات في صفحتها، في قائمة منسدلة كلها مكتوب فيها كلمة واحدة تتكرر إلى ما لانهاية:

No No No

تضغط على الإشعار الأحمر المجاور، ألف شخص يطلبون صداقتها. أسماء ووجوه غريبة أقرب إلى المستذئبين. صوت أحمد علوي يصيح دون أن ترى وجهه:

t.me/qurssan

ـ «جرنيكا.. جرنيكا»

رأت في صفحتها عشرات الصور العارية لها.

أكثر من ماوس هنا وهناك.. كلها تتدلى من السماء.. نسخ أخرى منها.. تتعلق مثلها بعشرات الماوسات. كلها تتأرجح بين السماء والأرض مثل بندول الساعة.

تقفز هاربة فتقفز معها نسخها الأخرى.. جميعها تفر في اتجاهات مختلفة.

ـ «جرنيكا.. جرنيكا»

عيون شريرة تراقبها من وراء نوافذ مفتوحة. فجأة يقذف عليها من تلك النوافذ قطع ملابس وأشياء غريبة: صنادل.. فساتين.. سوتيانات.. بواريك شقراء وسوداء.. أقنعة.

كلما اقتربت من «سوتيان» كي تستر صدرها كان يتطاير أمامها ويختفي أبعد من يدها. الأحذية أيضًا تطير والفساتين التي تكاد تمسكها من طرفها.

كان خالها علي نجيب واقفًا في بلكونة على يمينها. اتجهت أسفل البلكونة وتطلعت إليه. رأته مغمض العينين، وحول رأسه تاج ورد مثل راهب هندي. في كفه المبسوطة كان يقف عصفور رمادي وهو يرف بجناحيه. نفخه دون أن يفتح عينيه فطار العصفور لأعلى ثم سقط

t.me/qurssan

ميتًا تحت قدميها. رفعت عينيها نحو خالها، مرة أخرى، فرأته يبسط يده لعصفور آخر كأنه ولد من كفه.

كان لا يرى أي شيء عدا أنه ينفخ في كفه فيطير عصفور ثم يسقط ميتًا.

استأنفت الجري وهي تتحاشى الدوس على عصافير خالها التي كانت تتساقط حولها ميتة كأنها نقوش على الأسفلت. الماوسات تتدلى فجأة وتكاد أن ترتطم برأسها. كانت أنفاسها اللاهثة مسموعة وهي تجري مذعورة في مدينة الخراب هذه.

أخيرًا رأت سيارة ميكروباص تقف على الناصية فصعدت. كانت ممتلئة كلها عدا الكرسي القلَّاب بجوار الباب. جلست وهي تلهث. الجميع حدق فيها. ضغطت بذراعيها متقاطعتين تخفي ثدييها، وضمت فخذيها وهي محنية للأمام. كانت ترتجف. السيارة أسرعت. جميعهم كانوا يشيرون إليها ويضحكون. فجأة يتحولون إلى كلاب بألسنة حمراء طويلة تتدلى من أفواههم.. ثم يستردون هيئتهم البشرية مرة أخرى حين تحدق فيهم.

صاحت بطريقتها السينمائية:

ـ «على جنب يا أُسطى»

تعالت ضحكاتهم. الميكروباص كان بلا سائق. مقعد السائق كان خاليًا لكن السيارة كانت تسير بسرعة جنونية.

t.me/qurssan

- «أبي سيأتي ويقود الميكروباص.. أبي سيأتي ويقود الميكروباص».

أغمضت عينيها وراحت تطمئن نفسها بتكرار هذه الجملة كأنها تتلو تعاويذ بشفتين مرتعشتين.

راح الركاب يخلعون ملابسهم ويلقون بها من نوافذ السيارة.

- «ويندوز»

لا تدري من قال ذلك، لكن أحدهم ناولها الموبايل:

- «مينو على الموبايل»

صاحت وهي تأخذ الموبايل:

- «إلحقيني يا مينو!»

- «انزلي بسرعة.. ارمي نفسك في الشارع»

- «الباب مقفول!»

- «ارمي نفسك من الشباك»

- «ويندوز»

قفزت من النافذة بخفة لم تتوقعها، إلى درجة أنها لم ترتطم بالأرض.. لاح أمامها البحر بموجه الصاخب.. الشمس.. أسراب هائلة من طيور الفلامنجو الوردية تحلق وتحط على الشاطئ. هناك أريكة خشبية مكسورة، في مواجهة البحر.

t.me/qurssan

كان زوجها يجلس على طرف وليلى ابنتها على الطرف الآخر. كلاهما يعطيها ظهره، وفوقهما تتدلى بحبل من السماء «لولو كاتي» دمية ليلى المفضلة.

كانت أمواج البحر الصاخبة تُلقي دون توقف أجساد نساء عاريات. تتركها على الشاطئ ثم تعود فتلقي بمزيد من الأجساد العارية.

صاحت بصوت لاهث كأنها ترفض أمرًا ما: «البحر! البحر!». تسمع صوتًا يرد عليها من الخلف: «توقفي يا هدهد. توقفي». وصلتْ أمام الموج مباشرة جرت ليلى نحوها وهي تصرخ:

ـ «ماما»

أسراب الفلامنجو حالت بينها وبين ابنتها، راحت تحاصرها وتنهش جسدها العاري بمناقيرها وهي تصفق بأجنحتها، إلى أن اختفى جسدها تحت الريش والأجنحة والمناقير التي تخمش جلدها.

لم ينقذها من خمش الطيور إلا رنين الموبايل المتواصل.. فاستيقظت وعلى وجهها أثر بكاء.

t.me/qurssan

30

ألاعيب بوديكا

7:00 AM

وجاء الطوفان...

طوفان جارف من الإعلانات أغرق حواف الوول وغطى الأيقونات وأسماء المستخدمين. إعلانات كثيرة كانت تتدافع وتتبدل مواقعها: موبايلات مستعملة، تجارة الفوركس، أسرار أميرة خليجية مع صورة منقبة واسعة العينين، أحدث تقارير ويكليكس، تعرف على من يشاهد بروفايلك على شاشة وردية تومض وتنطفئ، شبيه مبارك يظهر في قصر الرئاسة، ادفع مائة دولار واسهر مع مارك زوكربرج.

في لحظات بدا الوول بطيئًا كأنه يُدار بـ"المنافلة" على رأي منال. كلام عن حرب بين الشركات الكبرى بعدما أعلن زوكربرج عن إطلاق قمر صناعي.. اتهامات لأجهزة استخبارات.. علق أحدهم ساخرًا بأن كل ما يحدث الآن بسبب قرصان إلكتروني اكتشف أن زوجته تخونه على الفيسبوك فأمسك خنجره وقطع الكيبل الرئيسي

t.me/qurssan

في البحر المتوسط.. مقاطع شعرية ساخرة كانت تشيد بغزوة الهاكرز لأكبر جمهورية افتراضية في العالم.

عشرات البروفايلات وقعت تحت سيطرة اسم بوديكا.. ولا أحد يعلم بوديكا الأصلية.. ومن يستغل اسمها للعبث والابتزاز! كيف احتلت الوول هكذا؟! كانت الوحيدة التي تستطيع أن تعلق في أي وقت، وتضع لينكات غامضة لا علاقة لها بالكلام المكتوب في الستاتوسات، مثل: «أسرع للتسجيل في منحة مجانية لتعلم اللغة الكورية». أو تكتب تعليقات سخيفة مثل: «حقيقة الإنسان في رائحة جوربه»!

لينكات لا حصر لها راحت تتدفق وتضرب جدار الوول تباعًا. اهتزازات مع توالي الضربات أشبه برقصة دجاجة مذبوحة.. لينك تأييد مرسي (عالم ناسا) رئيسًا لمصر. كان من الواضح أن مئات الأسماء قد شاركت في رفعه، مثلما يعلق الأقارب في نعش عزيز عليهم، وإن كان اللينك يذهب بالعالقين إلى لا مكان. يجرونه كما كان العبيد قديمًا يجرون الأحجار الضخمة لبناء المعابد. علقت بوديكا ساخرة: «أيها الحمقى! هل هناك لينك يستحق أن يحمله المرء على كتفيه مثل صليب ويشق به طريق الوول إلى الأبد؟!».

ثمة من نجح في كتابة شكاوى بأن صفحاتهم لا تفتح. بطء التحميل مرة أخرى.. استجابة عكسية للأوامر كأن يكتب أحدهم رسالة في الإنبوكس فيجدها منشورة أمام عيون الجميع. استغاثات

t.me/qurssan

وشتائم وسخرية ومواعظ. عجز تام عن حذف اسم بوديكا اللعين الذي احتل صفحاتهم، ثم فجأة ظهرت بوستات قديمة مات أصحابها منذ سنوات، والطريف أنهم كانوا يلعنون الحياة في بوستاتهم تلك.

- «كل ماضيكم هنا.. ليس سوى تفاهات ونفايات»، علقت بوديكا.

من نجحوا في التسلل إلى حساباتهم كتبوا تحذيرات بعدم الرد عليها وتجنب فتح أي روابط تنشرها لأنها فيروسات. بدوا مثل غرقى يلوحون بأيديهم وسط طوفان من الفوضى.

- «أليست أجمل.. أن تكون اللعبة بلا قواعد؟!»، تساءلت بوديكا.

هل يمكن أن تقع كل البروفايلات تحت هيمنة شخص واحد يتلاعب بها كيفما يشاء؟! الآلاف يبحلقون ولا يستطيعون التعامل مع ما يجري. هل تدير الصفحات نفسها؟!

فجأة تجمد الوول. لا حذف ولا إضافة. ليس بإمكان أحد أن يعلق على أي شيء، إلى أن سحبته يد لامرئية وأعادته إلى الزمن الماضي. كل الأشياء والمواد التي كانت منشورة منذ ساعات عاودت الظهور مرة أخرى:

- تدوينة طويلة «من علي نجيب إلى اللاعلي نجيب»، دون أن يعلق عليها أحد.

t.me/qurssan

ـ ستاتوس كتبه أحمد علوي: «أقبل صداقة الجميع عدا الآتي ذكرهم: «الزهرة المشخلعة»، و«رنّة خلخالي»، و«عاشقة وغلبانة»، و«سترينج ممزّق»، و«مُزّة شبرا»! وقد حظي بـ 55 لايك و12 تعليقًا، آخر تعليق كان لـ«بوديكا»: «طول عمرك مهووس بالنسوان يا علوي.. بلا قلب ولا حب».

ـ ستاتوس منال السمري: «سيجارة وكاس في مطعم أندريا» وقد نال 370 لايك. لكنه استفز «حفيد الشعراوي» الذي اعتبر نفسه مبعوث العناية الإلهية، وطاردها بسبعة كومنتات تدعوها للتوبة وعدم المجاهرة بالمعصية! من رابع المستحيلات أن يخمن «حفيد الشعراوي» أن ما كتبته ليس سوى تعبير عفوي فرحًا بحصولها أخيرًا على الـ Green Card، لكن بوديكا فضحته بوضع روابط الصفحات الإباحية التي هو عضو فيها.

ـ أسفل كويز «اعرف تاريخ موتك» الذي شارك فيه عبد الرحمن، وبفارق زمني بسيط، ظهر كليب ليدي جاجا، وكان علوي الوحيد الذي علق عليه: «ليدي جاجا عقدت صلحًا تاريخيًا بين يهوذا والمسيح عبر جسدها؛ كي يتحرر الإنسان من ظلامه الداخلي ويصل إلى النور».

وعلقت بوديكا أسفل تعليقه:

ـ «أنتم الآن في النور.. النور الذي تهربون منه» .

t.me/qurssan

29

السقوط بجوار «اللاب توب»

6:06 AM

لأول مرة يكتب علي نجيب تدوينة ثم لا يحصل على أي تعليق، رغم مرور خمس ساعات! معقول لم يتعاطف شخص واحد مع انتحال صفحته؟! جرّب أكثر من مرة أن يعلق لنفسه فتكررت الرسالة ذاتها بأن خللًا ما يحول دون ذلك.

أي قوة في العالم تلك التي تمنعك من كتابة جملة من ست كلمات في صفحتك؟!

فشل في حذف التدوينة وإعادة رفعها من جديد. كأن شللًا ما أصاب صفحته! ظل شاردًا في شاشة «اللاب توب». لا يفصله عنها سوى تموجات دخان سيجارة عالقة في فمه. انتبه إلى رسالة من «بنت البحر»، فخمن أنها قرأت تدوينته. لا شيء في الرسالة سوى رابط أزرق. استغرب أن أيقونة الإنبوكس فعالة بينما هناك أيقونات أخرى مصابة بالشلل!

t.me/qurssan

قاده الرابط إلى تدوينة لها بعنوان «خشخشة سردية» تتحدث فيها عن إعجابها بالأدب الإيروتيكي.. هو يكتب عن القتلة اللامرئيين، وهي تكتب عن الأدب الإيروتيكي!

بعد كل هذه الهلاوس التي كتبتها في تدوينتها، راحت تتحدث عن «الشهوة المكبوتة مع شاعر الديوان الواحد». سخرت من كآبة الكهول والتسامي الاضطراري بالرغبة بعد عجز القدرة.

توتر غامض دفعه إلى هز رجليه وهو يقرأ أكاذيب «الوليتا» وكيف لم يكن «ع.ن» يرفع عينيه عنها، يتابعها بشغف مكبوت، يلامسها ثم يجبن قبل الخطوة الأخيرة. الحقيرة! من تقصد بـ«ع.ن»؟ وشاعر الديوان الواحد؟ ماذا تقصد بعجز القدرة والتسامي الاضطراري؟! لم يتصور أن تكون بهذه البذاءة وهي تُعرّض به.. بل وترفق بالتدوينة صورتها وهي تريح رأسها على صدره. وإن ظللت عينيه، كي تتهمه بكل ما تريد. قالت إنه يدعي لأصدقائه بأنه كتب لها ديوانها! واستغربت أن يزعم شاعر اكتفى بديوان يتيم مثل هذا الزعم! في صورة أخرى كانت تطبع قبلة على لحيته الخفيفة، لكن الصورة التي حظيت بتعليقات هزلية من أصدقائها الحقراء، وهو عار يلف البشكير حول وسطه. كيف لم ينتبه إلى تدوينتها هذه رغم أنها نشرتها قبل عشرين ساعة وأرفقتها بأربع صور؟!

لماذا يُبقي عليها ضمن قائمة أصدقائه إذا كان ما لا يعرفه عنها أضعاف ما يعرفه؟! لماذا يتحمل كل هذه السهام التي تصوبها نحوه؟

t.me/qurssan

هـل يمارس معها التعاطف الذي لم يعثر عليه من أحد، عندما كان في سـنها؟ لا ينسـى أبدًا، أيام الشـباب والحمـاس.. في عز البـرد، ومطر يناير يضرب بعنف الأشـجار والسـيارات والكتل الخرسـانية، وضع كيسًـا شفافًا فوق رأسه وظل يقفز بين السيارات في شارع الجلاء وهو يحتضن نسخة ديوانه على صدره كأنها طفل رضيع خوفًا من أن يبللها المطـر، إلـى أن وصل إلـى مبنى الأهـرام القديم وتركها بإهـداء مؤثر للناقـد رجاء النقاش في مكتب الاسـتعلامات.. ثم دارت الأيام وعثر علـى تلك النسـخة بالإهـداء المؤثر أثنـاء جولة اعتاد أن يقـوم بها كل جمعة حول سـور الأزبكيـة، قبل أن يذهب للقـاء المعتاد مع أصدقائه في مقهى البستان في وسط البلد محملًا بالكتب التي اشتراها.

لا يتذكـر إذا كان ذلـك في آخـر يوليو أو أول أغسـطس. المهم أن الديوان الذي تركه في عز الشـتاء عاد إليه في عز الصيف! عاد إليه بعد عشر سنوات وهو لا يعلم كم يدًا تلقفته وكم إنسانًا قرأه وتخلص منه؟! أهـداه مجانًـا للمجهول وها هو يشـتريه بثمـن بخـس، والبائع يبحلق متعجبًـا وهـو يرى رجلًا غريب الأطـوار يقبل كتابًـا قديمًا ويأخذه في حضنـه بحنان. حاول ـ كعادته ـ أن يهون الصدمة على نفسـه بأنه ليس متأكدًا أن الأستاذ النقاش استلم الديوان فعلًا وقرأ الإهداء المؤثر.

لقـد خصص لهـذا الموقف تدوينـة كاملة عن الكتـب التي تحمل مشـاعرنا ورائحة أجسـادنا وتدور من يد إلى يد.. لهذا السـبب ـ على تفاهته ـ وأسـباب أخرى يطول شرحها، اتخذ قرارًا ألا يطبع أي ديوان

t.me/qurssan

آخر، هذا لا يعني أنه انقطع عن القراءة والكتابة بل كثيرًا ما كان يكتب خواطر ومقاطع شعرية. وأصبح ينظّر للقصيدة الإلكترونية التي تُكتب وتُقرأ في اللحظة ذاتها.. أما الكتاب فليس أكثر من تابوت أنيق.

الآن تأتي «بنت البحر» لتطلق عليه آخر سهم مسموم في جعبتها! من المؤكد أنها قرأت تدوينته وعلمت أنها اللحظة المناسبة للإجهاز عليه. هل هذا جزاء فتح بيته وقلبه لها؟ وفر لها الأكل والبيرة والسجائر وكتب النفري والحلاج.. وفي أقرب محطة غدرت به! قبل أن يستوعب ما يحدث له جاءته رسالة أخرى من امرأة تدعى «بوديكا»: «لو عندك ذرة رجولة رد على بنت البحر وامسح بها الأرض.. أي شاعر أنت.. وأنت لا تملك ذرة شجاعة واحدة؟!».

مَن بوديكا هذه أيضًا؟! ما الذي يحدث يا علي يا نجيب؟! تعثرت يده في أشيائه القليلة حوله: النظارة، و«الموبايل»، و«اللاب توب»، وقائم «الأباجورة» الصغيرة التي كان يستعين بها لتقوية إضاءة «البلكونة». آلام في ركبتيه وشكة غريبة في صدره، لكن الألم الأكبر كان في بطنه.. سخونة شديدة تعتصر معدته. انقلب به الكرسي وآخر ما أحس به كان رذاذ القهوة الدافئ على ظهر يده.

كان قد استغنى عن جدار غرفة النوم لتوسيع «البلكونة» وجعلها مشتلًا للورد، ياسمين بلدي وجارونيا ومسك الليل.. في نفس الوقت كانت «البلكونة» هي مكتبه، حيث اعتاد الجلوس على أريكة أعدها خصيصًا للنوم وسط أصص الزرع الذي يفضل أن يسقيه ليلًا تحت

t.me/qurssan

ضوء القمر. إلى جواره طاولة خشبية لا تتسع لأكثر من «فنجان» القهوة و«اللاب توب» المضاء 24 ساعة وعلبة «L.M» زرقاء، فوقها ولاعة فضية.

ظل ملقى على الأرض بين كل هذه الأشياء، إلى أن أحس بأشعة الشمس على وجهه، وزقزقة العصافير على حافة «البلكونة». لا يدري هل نام بضع ساعات أم كان مغمى عليه؟! حاول أن يعطي أمرًا داخليًا لرجليه كي تتحركا في أي اتجاه لكنهما لا تستجيبان. ضرب بيديه على الأرض كأنه سيخرج منها عفريتًا يساعده على النهوض. للحظة اختلط عليه الأمر هل سقط فعلًا أم أن الذي سقط قرينه الافتراضي؟ هل انهارت صورته في «البروفايل» ليجد نفسه عاجزًا في «بلكونة» شقته؟ «الفيسبوك» يقتل الناس بشراسة، والقتلى يسقطون من صفحاتهم. كأنه ممثل تعثر على حافة خشبة المسرح، وسقط على جمهور الصف الأول، وهو مازال يغالب بؤسه، بصيحة نبيلة: «أيها العالم لماذا تُفرق دمي بين عوالم كثيرة؟!» كان هذا استهلال ديوانه الوحيد.. الاستهلال الذي لا ينساه أبدًا.

ظل يردد على نفسه جملته الأثيرة تلك وهو بين النوم واليقظة عندما انتبه إلى شظايا «الفنجان» المكسور، وقهوته الباردة التي اندلقت إلى جواره وصنعت خارطة صحراوية بنية اللون. نائم بجوار صحراء بؤسه. كان باستطاعته أن يحرك يديه ويطفئ «اللاب توب»، لكنه تركه مضاء، وصفحته «أونلاين».. ربما يمد أحدهم يده من

t.me/qurssan

العالـم الافتراضـي ويسـاعده على النهـوض. أضعـف الإيمان يكتب «سـتاتوس» مؤثر بأن الشـاعر علي نجيب أصيب بجلطة في الساقين. جمهـور «الفيسـبوك» يتعاطف سـريعًا مع مثل هذه الأمـور. حاول أن يهزهمـا مرة أخرى، خـدر ثقيل إلى درجة أنه لا يشـعر بهما. لا يعرف بالضبـط هل ما أصيب بـه جلطة أم حالة نفسـية؟! تحامل على جذعه الأعلى وجر نفسه نصف خطوة، وبصعوبة بالغة رفع نصف جسده عن الأرض.

بالكاد كان يلتقط أنفاسـه كمن يزيح صخـرة عن صدره. إذا اتصل بأخته سـتأتي وتلومه لأنه لم يسـمع نصيحتها ويتزوج مرة أخرى، وإذا اتصـل بابنته سـتأتي مع أمهـا.. لن يحتمـل طريقة طليقته في الشـماتة وتلعيب شفتيها. اللعنة على المرأة التي تضاجعها لسنوات ثم تكتشف بعد فوات الأوان أنها لا تعرف ذرة واحدة من ذرات روحك!

بعدما التقط «الموبايل» استسـلم مرة أخـرى للأرض التي تجذب ثقـل جسـده. ضغط علـى الأرقام، رغـم أن وعيـه كان يخذله. صحح الرقم مرتين. أخيرًا سمع صوتها وهي تتثاءب.

ـ «إلحقيني يا هدى»

بضغطـة واهنة على العلامـة الحمراء أغلق «الموبايل» واستسـلم للنـوم علـى الأرض. إذا أسـعفته هـدى فـأول قـرار سـيتخذه حـذف صفحته، ثم يغادر «الفيسـبوك» إلـى الأبد. لن يضعف ويعود إليه، كما حدث من قبل.

t.me/qurssan

28

صياد البوشمن

4:33 AM

بعد مغادرة ديفيد قالت منال لماتنجي إنها بخير وطلبت منها أن تعود إلى النوم. كان ماهات جالسًا على البار يصب لنفسه كأس نبيذ، ثم صب لها كأسًا دون أن تطلب.

بدا بجسده المرتفع عن الأرض، ووركيه الضخمين، وسط إضاءة شاحبة، كأنه مارد أسمر على باب أسطورة. لم تكن تتطلع إليه بل اكتفت بتدوير كأسها بين يديها وتشممته قبل أن ترشف. وهي تجلس منهارة، ومع انفراجة ساقيها، بدت مغوية أكثر.

بحركة مسرحية فرد ذراعيه وقال:

ـ أحكي لك حكاية فاحشة؟

ابتسمت بسخرية. تناول رشفة من كأسه ثم تركه جانبًا واقترب قائلًا:

ـ «كان يا ما كان.. كانت هناك غابة غير مرئية.. هناك خلف مزارع السمسم وأشجار الطلح وعباد الشمس.. قدامها بوابة عملاقة جدًا

t.me/qurssan

غيـر مرئيـة. وقدام البوابة زول أسـمر عريـان إلا من قطعة فـرو بالكاد تسـتر عورته، وتتدلى من رقبته قلادة عظـم. كان لا يبالي بلعبة كاندي كراش، ولا متعقب كوكيز.. فهو لا يعرف الفيسـبوك ولا الجرين كارد ولا يشـغله في الحياة سـوى شـرب نُصية العرقي والكونياك الحبشـي وخطـف الشكشـوكات المسـتحمات فـي النهـر وقت المغيـب. كان لا يبالـي بصراخهـن.. وهـو يسـحبهن إلـى وراء البوابـة.. كان الزول يضاجعهـن مضاجعـة لا تخطر على قلب بشـر.. وبعدهـا لا يعثر لأي شكشوكة على أثر. أكمّل؟»

هزت رأسها وطلبت كأسًا أخرى. صب لها وهو يواصل:

ـ «الـزول العمـلاق كان ينتمي لقبائل البوشـمن وليـس أبرع منه في صيد النساء.. وصيد الغزلان والطرائد.. كان يتلذذ ـ عن بعد ـ بضعف الفريسـة وهي تجري.. تجري وتجري.. تغير مسـارها كما يحلو لها.. تظهر وتختفي في مرمى البصر.. يتشـمم خوفها وهي تتخبط في شباك لامرئية.. عاجلًا أو آجلًا سـوف تستسلم. كان يهمس في سره: «تعالي يا شكشـوكة ننوم سوا».. والفريسة تصرخ: «ما عايزاك.. ما عايزاك».. كل شكشـوكة تفتـح الروح على ضلفتين مثلمـا يقولون. وعلى طريقة أسـلافه كان يعرف كيف يقتنص فريسـته من دون استعمال أي سلاح، يكفيه أنه يحدد ملامحها ويسـتجمع رعبها في رأسه ثم يهمس باسمها كأنـه تعويذة: «عليك الله يا حلوة تعالي».. وهي تصرخ: «ما عايزاك.. مـا عايزاك».. كل ما تصرخ تقرب. كل ما تصـرخ تقرب.. وهو واقف

t.me/qurssan

مكانه قدام البوابة كان يلاحق فريسته بالجري اللامرئي وراءها لساعات وساعات، إلى أن يقتلها بتكنيك الإنهاك. لا متعة لديه تضاهي لحظة استسلام الفريسة وانسحاب آخر ضوء من عينيها».

أشارت بيدها كي يجلس بجوارها على الصوفا: «كمّل». كانت مرتاحة لصوته الغليظ، رغم خفوت نبرته ولكنته الخشنة الغريبة.

ـ «صياد البوشمن لا يلوث يديه أبدًا بقطرة دم واحدة. ولا يسع روح الضحية إلا أن تعبر عن امتنانها له، بنظرتها الأخيرة. كان يرسم ظلال البوابة الكبيرة اللامرئية في عقله فتجذب الفريسة إليه.. كانت تشتهي نداءه الخافت كي يقتنصها قنص الأسود. كان لا يخيفها.. ولا يتعجلها.. يتركها.. تفر هنا وهناك.. في نهاية الأمر ستدخل شباكه اللامرئية. ستسلم نفسها طواعية كي يفعل بها ما يشاء. وكان الزول فاحشًا لا يرحم فريسته.. فاستسلامها لا يعني أبدًا أن يكون لطيفًا معها. ومهما استرحمته لا يرحمها.. حتى لو سمع طقطقة عظامها وهي تشخر وتنخر».

عندما وصل إلى هذا الحد من القصة وضعت كأسها الفارغة على الأرض وألقت برأسها الغافي في حجره واندفعت في البكاء. داعب خصلات شعرها إلى أن هدأت. سألته وهي بين اليقظة والنوم:

ـ «فين الفحش اللي في القصة يا ماهات؟»

ـ «الفحش في قلب الفريسة نفسها»

t.me/qurssan

ـ «بس الفريسة تقدر تقاوم»

ـ «لو قاومت الصياد.. قاومت الرغبة»

بدأ ينتعظ تحت رأسها وهو يرى انحسار روب الدانتيلا عن جسدها المستسلم على الصوفا. أمسك أصابع يدها وراح يغمسها إصبعًا إصبعًا في كأسه، ثم يلعقه صامتًا.

ـ «تخيلي نفسك وراء بوابة كبيرة لا مرئية، ينتظرك صياد البوشمن.. بشبكة لا مرئية.. كي يفعل بك أشياء فظيعة جدًّا.. هناك عند الغابة البعيدة.. أنفاسه تتسلل تحت جلدك.. احذري لو أخذك وراء البوابة.. لا قواعد لوحشيته اللامرئية.. هووي.. هووي.. أنت هناك الوقت داك؟» أومأت برأسها. صمت قليلًا ثم سألها:

ـ «مستعدة؟» أومأت برأسها ثانية وقالت:

ـ «المقاومة مأساة»

وقف وسحب بهدوء الشورت إلى أسفل:

ـ «زول البوشمن هايكتلك». دفن وجهها في الصوفا وسحب رجليها إلى الخارج. همست وهي تتمنع: «ماتنجي! ماتنجي؟!» فأطبق بيده على فمها.

t.me/qurssan

27

أغرب رسالتين في ليلة واحدة

4:20 AM

استيقظ علوي مرهقًا بعدما نام أقل من نصف ساعة على كرسي المكتب. فتح اللاب توب وركن ظهره إلى الخلف. بحلق في الفراغ دون أن يبادر بأية حركة. من يراه في تلك الهيئة سيعتقد أنه صائد دبابير لا مرئية.

كان ميكرفون الجامع المصوّب في اتجاه الفيلا ذات الطابقين، يذيع تواشيح صلاة الفجر. ضجيج خفيف راح يعلو في الشارع شيئًا فشيئًا. وضع الهيدفون في أذنه واستسلم لموسيقى «يا محظوظ» لأندريه ريو. خاتله طيف منال وهي سكرانة: بشرتها الداكنة بلون الشوكولاتة، وشعرها الغجري مثل قبة غامضة فوق رأسها.

كانت شبكة الإنترنت بطيئة جدًّا تأخذ دقيقة على الأقل كي تستجيب لأي ضغطة يقوم بها. توقع من إشعار الإنبوكس أن تكون رسالة من هدى بعدما استعادت عقلها لكنه فوجئ أنها من منال. تذكرها عندما كانت طالبة لديه. مرحها وابتسامتها الواسعة. بسبب

t.me/qurssan

كثرة الإكسسوارات الفضية في يديها ورقبتها ورجليها كان يطلق عليها «أم الشخاليل».. لا يعرف لماذا تعمدت أن تخبره مازحة أنها علقت الدبلة التي خطبها بها ديفيد، في سرتها!

بعدما قرأ الرسالة تيقن أن تلميذته مجنونة رسميًا.. مجنونة مثل صاحبها الأمريكي.. أو كما كان يقول لها ساخرًا: «أنت عندك ربع مشكل ضارب».. حتى شعارها «كن نفسك ولا تتبع خطواتي» يؤكد أنها إنسانة غريبة الأطوار. صحيح أنه كان يحب الدردشة معها عن الرسم والشعر.. عطرها المفضل وحكايتها مع الفضة الإكسسوارات الكثيرة.. لكنه لم يتوقع أن توافق بسهولة على علاقة جسدية كاملة معه.. ثم فجأة وبدون سبب تقطع العلاقة وتختفي، ثم تعود للظهور وتخبره أنها تزوجت من مهندس لمدة ستة أشهر ولم تستفد منه سوى الحصول على لقب «مطلقة».. يومها قالت مازحة: للأسف يضحكون علينا بالزواج دون أن يكون للمرأة حق الفحص! لأول مرة لا يرى في وجهها ملامح تلميذته المتمردة، بل امرأة متهتكة لا مبالية.

حتى رسالتها هذه لا تقل غرابة عنها:

«مستر علوي ارجو انك تعتبر سهرة اندريا دي سهرة وداع.. واي رسائل اخرى منك او من سيد «قناع زورو» ستخلق لنفسك مشكلات جدا صعبة.. أراك في الجحيم..»

أي وداع؟ وأي قناع زورو؟! منال في العادة لا تخاطبه «مستر علوي»! شك للحظة أن يكون ديفيد هو من كتب الرسالة غصبًا عنها.

t.me/qurssan

أسلوب غريب وغير متوقع منها هي التي كانت تثرثر معه في السيارة قبل ساعة! ما الذي يتوقعه منها وهي تغير عشاقها حسب فصول السنة وتعيش حياتها متسكعة بين مقاهي وبارات وسط البلد؟! كانت لا تتذكره إلا عندما ترغب في الرسم، ثم فجأة وبنفس الحماس تعلن اعتزال الرسم الذي لا يقدره أحد وتنغمس في ندوات تافهة دفاعًا عن المرأة، والسفر مع وفود أجنبية إلى الصعيد.

انتبه أنها لم تشكره على تعليقه على كليب ليدي جاجا، وتساءل: هل لهذا الكليب علاقة بسهرتها مع مصري وكيني وأمريكي؟!

كان يحترمها في كل تقلبات مزاجها، لكنها هي التي كانت تعاود الاتصال به وتحكي عن مغامراتها، إلى أن أخبرته بأنها تعيش قصة حب مع شاب أمريكي صحفي وناشط حقوقي من نيويورك، عاش في الهند والسعودية ثم استقر في مصر قبل ثورة يناير بسنتين.

من أول لقاء، شعر علوي أن ديفيد يتعامل معه كأنه خصمه اللدود! هل أخبرته بأنه كان عشيقها القديم؟ منال لا تُبل في فمها فولة! حتى صورة ديفيد في البروفايل كانت لا تروق له. هذه الصورة التي يظهر فيها نحيلًا في الأربعين، كل ما يميزه شعره الجاف القصير وقد تراجع قليلًا إلى الوراء، وأنفه الطويل نسبيًا ونظرة غبية في الفراغ.

لم يكن علوي بحاجة إلى تحذيرات ضابط أمن الدولة، كي يرتاب فيه، فيكفي أنه يعمل في مؤسسة دولية للدفاع عن النساء المعنفات، ومراقبة الانتخابات وتطوير المجتمع المدني، وقد فوجئ باسمه

t.me/qurssan

ضمن الذين قُبض عليهم في قضية المنظمات الأجنبية قبل أن يصدر قاضي الاستئناف قرارًا مفاجئًا بالإفراج عنهم ونقلهم فورًا إلى أميركا، لكنه رفض السفر لاقتناعه أن أوباما نفسه لا يستطيع أن يُملي عليه متى يسافر.

أيضًا منال لم تضيع وقتها في انتظار الجرين كارد، فهي حصلت على ثروة لا بأس بها واشترت شقة ثلاث غرف في المبتديان. أخبرته أنها باعت مجموعة لوحات فلكلورية لسفارات ومؤسسات دولية بمساعدة حبيبها الأمريكي طبعًا. وبعد الثورة عملت معه في أكثر من منظمة دولية بأجور خيالية!

في المرة الوحيدة التي زارها كي يبارك لها شراء الشقة كان يحمل لها هدية خلخال فضي؛ لأنها مفتونة بالخلاخيل، وأيضًا تمثال أنوبيس لمجاراتها في الولع بالحضارة الفرعونية. كان أنوبيس يمسك في يده اليسرى عصا ذهبية وفي اليمنى مفتاح الحياة، واعتبرت منال هذه الهدية علامة أكيدة على سعادة تنتظرها وفرص ذهبية تنتظرها. كانت قد أخبرته أنها ستقيم صالونًا كل خميس لأصدقائها من صعاليك الشعراء والصحفيين والرسامين وشددت عليه أن يحضر.. أهم ما لفت نظره في الشقة البار بمصابيحه الطويلة المتدلية على الطراز الأمريكي. يومها فوجئ بأشخاص كان يعتبرهم مثالًا للوقار وهم يسترخون على الأرض وقد فتحوا أزرار قمصانهم، واندمجوا في تدخين السجائر الملغومة بالحشيش والحديث عن أشهر المؤخرات في تاريخ السينما.

t.me/qurssan

في نهاية السهرة، اختلى بها في حوار جانبي فروت له كيف التقت ديفيد، باعتباره الحدث الرومانسي الأهم في حياتها. كانت في وقفة احتجاجية أمام نقابة الصحفيين، وسط دخان وغبار. قنابل مسيلة للدموع ودروع الأمن المركزي، ساعتها أحاط بها رجل أصلع راحت تقضم يده الملظلظة بأسنانها لكنها فشلت في التخلص من قبضته. كان يلوي رقبتها، وهي تقفز برأسها إلى أعلى وتبصق على وجهه الذي لا تراه، إلى أن أغمي عليها وسط شظايا وحجارة وفوارغ زجاجات مياه ملوثة ببقع الدم. أحست بيد ديفيد الصغيرة مثل يد صبي وهي تلتف حول خصرها كأنها كانت تبحث عنها منذ زمن. لمسها لمسة سحرية قبل أن يتلقفها. حملها فوق كتفه وفرّ بها في اتجاه كوبري قصر النيل.

من يكون فارس الأحلام إذن إن لم يكن هو الرجل الذي يحملنا عن الأرض بكل بساطة ويطير بنا؟! سألت علوي دون أن تنتظر إجابة بل رفرفت بامتداد ذراعيها وتمايلت وهي سكرانة.

حكت له كيف أصبح ديفيد يتقاسم معها كل الوقفات الاحتجاجية، فتتجدد اللحظة الرومانسية ذاتها، بكل عنفوانها ورقتها، عندما تصاب بكدمة من كوع أو جرح لا تعرف سببه، كان يحملها ويجري بها. حتى لو تم احتجازها لعدة ساعات في قسم شرطة قصر النيل، كان لا يتخلى عنها، يصر أنه أمريكي وأنها خطيبته ويطلب الاتصال فورًا بالسفارة، هنا كانوا يتخلون عنها، فيحملها متعبة إلى شقتها، وهي

t.me/qurssan

مزينة بشريط طبي لاصق، مرة فوق حاجبها، ومرة على عنقها. رغم الضحكات وصخب الرفاق في الصالة، روت ما هو أكثر حميمية وكيف دخل معها الشقة لأول مرة فاسترخت ممدة الساقين على حافة البار، والسيجارة لا تنطفئ في فمها، بينما جلس أسفل قدميها وراح يفركهما بزيت السمسم.

تنهد علوي بعمق ملتذًا وهو يتذكر الآن كل هذه المشاهد التي روتها، ربما لإثارة غيرته.. أو للتدليل على الفروق العاطفية بين الرجل الشرقي والرجل الغربي. غير معقول أن تُنهي كل شيء هكذا! ما السبب الذي دفعها لإرسال رسالتها المجنونة مثلها؟ هل شعر ديفيد بمزيج من العنصرية والغيرة منه؟ هل أخبرته بما قاله في نهاية السهرة وأن زواجها منه غير جائز شرعًا؟! ثم من هو «قناع زورو»؟ قد تكون سكرانة وقررت التلاعب به! لم يعد يتذكر ماذا قال لها بالضبط في نهاية السهرة! هل تكون هي نفسها «عاشقة وغلبانة»؟ لماذا لم تترك الأمور معلقة هكذا إلى أن تسافر إلى أمريكا وينسى كل منهما الآخر؟ ما الذي يحدث لك يا علوى كي تتلقى في ليلة واحدة أغرب رسالتين في حياتك؟!

t.me/qurssan

26

لعنة الجرين كارد

4:10 AM

وصلت منال إلى شقتها. سمعت ضحك ماهات وصديقته في الحمام فأرجأت فكرة الاستحمام واسترخت في الصالة المضاءة بمصابيح خافتة موزعة في الزوايا. مر طيفهما بذهنها بعدما سمعت تكة إغلاق باب الغرفة عليهما. تخيلتهما وراء الباب المغلق، يتبادلان قبلة طويلة بمذاق الحشيش والبيرة.

أخبرت ديفيد الذي ظهر أمامها في الصالة، عن رسالة تلقتها من شخص يدعى «قناع زيزو». سألها مستغربًا: «قناع زورو؟!». قالت إنه يهددها ويطلب منها قطع علاقتها بعميل الموساد! بطريقة موارية ألمحت أنه ينتقد علاقتها الحميمة معه وتفضيله على أحمد علوي!

الطريقة التي لخصت بها فحوى الرسالة جعلته يعتقد جازمًا بأن «قناع زورو» هذا ليس سوى شبح علوي نفسه، وأنه كتب هذه الرسالة بمجرد أن تركهما في مقهى أندريا. حاولت لفت انتباهه إلى أن توقيت

t.me/qurssan

إرسالها مختلف عن وقت مغادرة المقهى. انفعل لتبريرها ودفاعها عن علوي. أصر ألا تلتقي بهذا الـBoring مرة أخرى. طلب منها أن ترسل إليه حالًا رسالة ألا يتصل بها أبدًا. هزت رأسها بالرفض. تناول اللاب توب غاضبًا وكتب نيابة عنها:

«مستر علوي ارجو انك تعتبر سهرة اندريا دي سهرة وداع.. واي رسائل اخرى منك او من سيد «قناع زورو» ستخلق لنفسك مشكلات جدا صعبة.. أراك في الجحيم..».

ظلت واجمة. انتبهت إلى أن ماهات لم يخرج على صوت ديفيد المرتفع، كما توقعت. كانت قد خلعت فستانها وصندلها كيفما اتفق. جلست على كرسي البار وصبت لنفسها كأس نبيذ وهي تأخذ نفسًا عميقًا كأنها تستجمع في رأسها فكرة معينة. تركت مؤخرتها المدملجة تدور مع الكرسي، في حركة رتيبة للتنفيس عن طاقة الغضب بداخلها.

غادر ديفيد الصالة ثم ظهر هادئًا وفي يده زجاجة صغيرة. دون أن يتكلم معها أوقف دوران الكرسي، ثم رفع رجليها على حافة البار وراح يفركهما بزيت السمسم، مستعيدًا تلك اللحظة البعيدة التي اندلعت فيها شرارة الحب عندما رآها مغمى عليها بين دروع وبيادات الأمن المركزي.

ضغطه المتكرر على عروق رجليها الدافئة لم يؤد إلى الاسترخاء وتجاوز ما حدث، فبعدما انتهت من تدخين سيجارة الحشيش،

t.me/qurssan

رفـع ماهـات رأس ماتنجي عن صدره العاري وقفـز إلى الصالة، على دوي ارتطـام. تسـمر عاريًا إلا من شـورت برتقالي يصل إلـى ركبتيه، عندمـا رأى ديفيـد واقفًا كأنه تمثال شـمعي، وعلى الصوفا التي تتسـع لشـخصين بجوار البار جلسـت وهي ترتدي روب دانتيلا أسود بالكاد يلامس ساقيها العاريتين.

ديفيـد لـم يلتفت نحوه، وهـي أيضًا لم ترفع وجههـا المختفي بين يديها. انتبه ماهات إلى اللاب توب ملقى على الأرض وقد انشطر إلى نصفيـن، وبجـواره زجاجة صغيـرة. نفس زجاجة زيت السمسـم التي كانت في يد ديفيد وهو يفرك رجليها منذ دقائق، كاعتذار ضمني.

منال اعتبرت الأمر مسًّـا بكرامتهـا، وعدم ثقة فيها. ضايقها أكثر رد فعله الانفعالي. لا تفهم كيف يُفسـد ليلة رومانسية مرحة بسـبب رسالة غامضـة! لماذا يصر دائمًا أن يتصرف بحماقة تعكر مزاجها في اللحظة التي تتوقع منه عكس ذلك؟ هل هي لعنة الحصول على الجرين كارد؟ غيـر معقـول أن الذي يقف أمامها الآن كالمجنون هو نفسـه الذي كان يدلـك رجليها منـذ ثوان، والذي يـردد في كل مكان بأنهـا كانت أحق بجائزة نوبل من توكل كرمان! هو نفسـه الرجل الذي كان يتسكع معها في مقاهي وبارات وسـط البلد، وينتظرها بالسـاعات في عز الحر إلى أن تنهي رسـمها! معقول هذا العصبي المجنون هو نفس الرجل الذي كان يحملها مصابة ومغمى عليها في المظاهرات ويطير بها؟! للأسف

t.me/qurssan

نـدوب الـروح لا تلتئم أبدًا، حتى لو ظل يفرك رجليها بزيت السمسم خمسين سنة!

تقدم ماهات بحذر على أطراف أصابعه ورفع اللاب توب المحطم علـى حافة البار. كان ديفيد قد انتهى من ارتداء حذائه ثم وضع حقيبته القمـاش على كتفه، وغادر. لـم ينتبه ماهات إلى ماتنجي التي خرجت منذ دقيقة على صفعة الباب. رآها أمامه على الصوفا بجوار منال وهي تضمها إلى صدرها وتربت على ظهرها.

استسـلمت منـال للبـكاء فـي حضـن ماتنجي التـي بالـكاد تعرف اسمها.

t.me/qurssan

25

عصافير يهوذا والمسيح

3:00 AM

دخلت هدى من جديد إلى صفحتها. فكرت أن ترن على علوي وتحكي معه. ألا يدعي أنه يحبها؟ فالمفروض أن يكون عاجزًا عن النوم مثلها. ربما مازال مع منال في مقهى أندريا. رشفت من كوب ماء على الكومودينو وفتحت نافذة الشات للتأكد إذا كان زوجها مازال أونلاين. شعرت ببعض الراحة لمجرد أنه أصبح أوفلاين. لاحظت أن آخر ما قام به عبد الرحمن المشاركة في كويز «اعرف تاريخ موتك»!

كانت تضع زوجها في دائرة الأصدقاء المقربين كي تتلقى إشعارات منتظمة بكل ما يقوم به. أزاحت شعرها عن وجهها وتثاءبت. قرأت آخر ستاتوس كتبه علوي منذ أربع ساعات: «أقبل صداقة الجميع عدا الآتي ذكرهم: «الزهرة المشخلعة»، و«رنّة خلخالي»، و«عاشقة وغلبانة» و«سترينج ممزّق»، و«مُزّة شبرا»!

حقًّا الرجال غريبو الأطوار! قتلة ومدعو نبوة، كما يقول خالها.. مشكلة البشر أنهم جميعًا «يهوذا» ويعتقدون أنهم «المسيح»! عبد

t.me/qurssan

الرحمن الأناني يسلي نفسه بمعرفة تاريخ موته وعلوي الأكثر أنانية منه مشغول بـ «الزهرة المشخلعة»! استغربت تفاهتهما آخر الليل! بخلاف عشرة شعراء لا يكفون عن مطاردتها كل ليلة بتعليقات لزجة وقصائد غزل يرسلونها على الإنبوكس، إلى درجة أنها هددت أحدهم بطباعة رسالته سكرين شوت ونشرها على الملأ.

قامت بتشغيل كليب Judas الذي رفعته منال منذ ساعات. مفارقة غريبة أن تجد نفسها تفكر في يهوذا والمسيح ثم تجد مينو ترفع هذا الكليب تحديدًا!

كانت ليدي جاجا تقود مجموعة موتوسيكلات يركبها شباب في ملابس جلدية سوداء. تارة كأنهم حراس لها وتارة يتحرشون بها. وكانت ترقص وتمثل بخفة وهي تضع ماكياج كأنها تنحت ملامح خاصة بها. لقطات سريعة جدًّا لها وهي تخترع وجهًا جديدًا لنفسها. تتلوى مثل الأفعى. تخفي عينًا وتظهر عينًا وسط خلفية داكنة ورموز مسيحية كثيرة.. صلبان وتاج الشوك ومشاعل النار والكأس المقدسة.

كأن ليدي جاجا أرادت استعادة الأزمنة كلها في أغنية واحدة.. ثم تنساها وتبددها بعد ذلك.. أما هدى فتريد استعادة كل ماضيها؛ كي تتذكر تلك الغلطة المبهمة التي دفعت حياتها إلى هذه المحطة وتركتها على حافة الهاوية!

t.me/qurssan

لا تعرف سر شعورها بالوهن والتعب وعدم الرغبة في النوم.. جسدها مهزوم وأطرافها هاربة منها. مازالت مصممة على ألا تعود إلى جاليري علوي أبدًا. وعبد الرحمن غرس الدين لم يعد زوجًا بل فيروسًا يدمر كل خلاياها العصبية. تنهدت.. فجأة أحست بثقل الوجود الساكن حولها.. لا تنتمي إليه ولا ينتمي إليها. كأنها تطفو مثل ريشة. قرأت بابتسامة ساخرة تعليق أحمد علوي على الكليب: «ليدي جاجا عقدت صلحًا تاريخيًا بين يهوذا والمسيح عبر جسدها، كي يتحرر الإنسان من ظلامه الداخلي ويصل إلى النور».

أغمضت عينيها وتخيلت نفسها في البانيو مثل ليدي جاجا، بين علوي وعبد الرحمن وقد خبأت تحت مؤخرتها سكينًا طويلة النصل استعدادًا للحظة الصلح المتخيلة.. أو.. الخلاص من الاثنين بسكين واحدة!

قرّبت ضوء الأباجورة أكثر واعتدلت في فراشها وهي تستجمع تركيزها. انتبهت إلى تاج من خالها لقراءة تدوينة: «من علي نجيب إلى الـلا علي نجيب». أفكار خالها مشتتة وكأنه على وشك الاكتئاب.. كل ما يعانيه سببه الافتقاد لحنان المرأة في حياته، كيف يصمد الإنسان في الحياة من غير شخص يحبه ويستمع إلى همومه في أي ساعة من الليل؟! مشكلته أنه متحفظ جدًا مع النساء بعد الفشل مع زوجته السابقة التي أجبرته على الطلاق، وتعيش الآن في المعادي الجديدة مع ابنته الوحيدة، في شقة اشتراها بكل مدخراته وإرثه من والديه.

t.me/qurssan

خالها آخر من يشغل باله بالشقق والفلوس والنساء.. يعتقد أن العصافير ألطف من النساء لأنها، كما يقول، تغني لنا ولا تطلب أي مقابل. لا تريد تعديل طبيعتنا لنوافق مقاييس معينة في ذهنها.

شرح لها أن البشر.. من قديسين وأوغاد.. بعد أن يموتوا.. يعودون مرة أخرى إلى الحياة في هيئة عصافير.. كي يشاهدوا حياتهم السابقة ويتندروا على بلاهتهم.. فمشكلة الإنسان أنه لا يستطيع أبدًا رؤية حياته بطريقة مختلفة. ساعتها لن يكون ضروريًا التفريق بين العصفور «المسيح» والعصفور «يهوذا»؛ لأن العصافير لا تستطيع أن تطير ما لم تصبح طيبة.

كان كلامه على هذا النحو يخيفها، فهي تخشى عليه من المرض والوحدة والكلام مع العصافير.. تدرك بطريقة ما أنها تشترك معه في المأساة ذاتها.. وبعد عشر سنوات من الآن ستجد نفسها النسخة النسائية منه. هو قطعًا ليس مجنونًا - كما تزعم طليقته -. قد يكون طفلًا مازال يشعر بالدهشة إزاء الوجود أو زاهدًا اكتشف عبث الحياة وبؤسها.

كانت متعته الوحيدة الفرجة على الشارع من أعلى. يحكي لها عن الأعراس والخناقات والجنازات وهي تمر في الأسفل، فترى في عينيه ابتسامة امتنان للحياة التي تسير وتتغير بالقرب منه. يحكي عن أولئك الذين لا يعرفهم وكيف يصنعون حياة تدهشه! أكثر من مرة ضبطته وهو يرفع صوته الداخلي ويجري حوارات مع العصافير التي

t.me/qurssan

كانت تستريح على حافة البلكونة فلم تشأ أن تحرجه بأنها سمعته. دائمًا يقول لها إنه أصبح يفهم العصافير وتفهمه. يخبرها بما يدور في نفسه وهي تخبره بما يدور في الكون. وقوفها بالقرب منه وهي تتلفت يمينًا ويسارًا وتهز ذيلها ليس مجرد صدفة بلا معنى.. الكون لا يتوقف عن إرسال الرسائل لنا لكننا فقط لا نجيد قراءتها.

هي مثله، تشعر برغبة عميقة في الانسحاب من العالم، لكنها لا تدري متى تتخذ القرار! ربما هي تكابر وتعاند أكثر مما فعل! لماذا يظن أن الكون كله تآمر لإجهاض ديوانه.. أو أن العصافير حقًّا طيبة وتهتم به؟! على أية حال، خال يكلم العصافير وتكلمه أفضل من زوج يضاجع نساء وهميات على الشات!

تذكرت يوم تندرت على خالها بأنه تزوج البلكونة. نصف عمره قضاه فيها، وسط الورد واللاب توب والسجائر والقهوة والكتب. رد عليها بأنه لو أكرمه الله فهو يفضل أن يموت ممددًا خلال غفوة على الأريكة، وهو مستغرق بكل حواسه في كتابة قصيدة سرية لا ينتهي منها أبدًا.

تمددت في فراشها وحاولت النوم مرة أخرى. فكرت فيما سيقوله خالها في قصيدته السرية! هل سيعقد أيضًا مصالحة أخيرة بين يهوذا والمسيح؟ أم سيجعل قصيدته عن النور الذي لا نعرف كيف نستبقيه في قلوبنا؟ ظلت عيناها تحدقان في تجاويف العتمة تحت الغطاء، إلى أن نامت وهي تستحضر صوت خالها يُلقي قصيدته التي لا تنتهي أبدًا أمام حشد من العصافير.

t.me/qurssan

24

باركود على عقلة الإصبع

2:48 AM

رأى علي نجيب السطور المكتوبة على الوول تختفي سريعًا أمام عينيه، فأدرك أن الأمر أخطر من صفحة مزيفة باسمه! حتمًا هناك من يلاعبه ويتحكم في صفحته أكثر منه! جال بعينيه كمن يحاول أن يفهم سر ما يجري الآن. أراد أن يُلقي نظرة وداع على التدوينات وألبوم الصور، فلم يعثر لها على أثر، عمومًا هو يحتفظ في ملف خاص بكل حرف يكتبه قبل نشره.

حذف صورته الجانبية في البروفايل بضخامة أنفه، وجانب من لحيته البيضاء الخفيفة وملامحه السمراء الخشنة، ثم طلب تعطيل الحساب وغادر. سبق له أن أغلق صفحته ـ مؤقتًا ـ مرات لا تحصى. لكن شيئًا ما كان يقهره ويعيده بعد فترة.. حذف الكثير من الصامتين المرعبين، ثم أعاد من عاتبوه متذرعًا بأنه لا يدري كيف حُذفوا من قائمته!

t.me/qurssan

سيفتح صفحة جديدة باسم جديد.. بقواعد أخرى.. بعيدًا عن أعين «بنت البحر». فللبداية دائمًا سحرها. احتار في تسجيل بياناته في الصفحة الجديدة، رغم أنها بيانات معتادة مثل بيانات بطاقة الهوية. تساءل بينه وبين نفسه: ما جدوى أن تلغي صفحة باسم عليّ نجيب، ثم تفتح صفحة جديدة أيضًا باسم عليّ نجيب؟! لماذا لا تسميها «ابن ماركس» مثلما تسمي صديقتك نفسها «بنت البحر»؟!

كان متحفزًا حتى لا يُخفق في التسجيل. لو ضغط على هذا الثقب الصغير أمام كلمة (Female) هل سينزعج «السيرفر» ويرسل إليه رسالة آلية: يا كاذب، هذه الأصابع الخشنة التي تطقطق على «الكيبورد» والتي دخنت آلاف السجائر لا يمكن أن تكون أصابع أنثى؟! ماذا لو كان للأصابع رائحة تفضح أنوثتها أو ذكورتها، تتسلل من مسام «الكيبورد» إلى «السيرفر»؟

ماذا لو لم يكن الشخص ذكرًا ولا أنثى، مجرد إنسان يتعذب بخليط غامض من الهرمونات والخيالات المثيرة؟! بطريقة آلية أعاد نسخ «الإيميل» في مستطيلين أجوفين. اختار يوم وشهر وسنة ميلاده بدقة. فكر أن يضع تاريخًا مزيفًا.. ما المبرر أن نواصل الكذب والزيف في حياتنا الافتراضية أيضًا؟! في الأخير، نصف البيانات كان مزيفًا، ونصفها الآخر كان حقيقيًا، وهكذا تم قبوله.

أصبح يمتلك صفحتين مثلما يعيش غيره في الحياة بوجهين.

t.me/qurssan

هذه الصفحة ستتيح له أن يسب «بنت البحر» كما يحلو له، ويفضح ألاعيبها. أحيانًا نضطر أن نكون مزيفين كي نحتال على المحتالين. كان أول ما فعله، بعدما وضع قدميه في الكوكب الأزرق، باسمه الحركي الجديد «ابن ماركس»، أن أخذ نفسًا عميقًا وتساءل: «ما جدوى كل إجراءات التسجيل الروتينية التي لا تحترم قانون التخييل: «كن فيكون»؟!».

في الواقع، لو نسي المرء اسمه الحقيقي، اسمه المكون من كلمتين لا أكثر، فهذا يعني أنه فقد «الباسوورد» الذي يسمح له بدخول حياته الواقعية. كأنه ولج ـ وهو لا يدري ـ عتمته الأبدية.

كل العوالم البديلة، لكي ندخلها، نحتاج إلى شفرة سرية خاصة بنا، تحمينا من الانتهاك والنسيان. حياتنا كلها مرهونة بشفرة من حروف وأرقام. سيارتي «الفيات» البيضاء، هاتفي، بريدي الإلكتروني، مقاس قميصي الـ 44، جواز سفري الممغنط الذي لم أستعمله، رقم شقتي، «اللاب توب» بغطائه الأزرق، وثيقة التأمين الصحي التي لا أعرف عنها شيئًا، حسابي في البنك الأهلي. كل وجودنا معلق بشفرة لا تمنحنا الخصوصية بقدر ما تسهل لجهات غامضة أن تتبعنا لأسباب قد لا تخطر على بالنا. ربما لمجرد تشابه الاسم الثلاثي مع شخص آخر.. أو لإقناعنا بشراء حبة «فياجرا» وواقي «ديوركس».

أو بسبب شاعرة مجنونة لا يستهويها شعر نيرودا إلا وهي تتأوه في السرير! ومن يدري أن الرقم اللاتيني المطبوع على بطن ذراعها ليس عدد من ناموا معها؟!

t.me/qurssan

ليس سهلًا أن يعرف المرء كل الجهات التي تتبعه، ولا أن يحصرها كلها في جهة واحدة. الأسهل أن يحصر هو كل أرقامه وبياناته في شفرة واحدة. مثلما للمرء اسم واحد في كل المعاملات والتقارير يمكن مستقبلًا أن تصبح له شفرة ثابتة، تلازمه من المهد إلى اللحد. كلمة سر غير قابلة للتغيير، أو التزوير. ساعتها سوف تنقرض جوازات السفر، وبطاقات الهوية، فقط سيبقى الباركود المطبوع على عقلة الإصبع الوسطى منذ الولادة. وما على المرء سوى أن يبصم على الشاشة كي تفتح له الدنيا كل أبوابها.

كان علي نجيب قد وضع حروف اسمه السبعة معكوسة لتكون «الباسوورد» لحياته الافتراضية الجديدة. رغم التحذير بأن هذه أسهل طريقة للاختراق. بفرح طفولي جرب الخروج والدخول مرة أخرى. بين كل باب خروج ودخول كان عليه دائمًا أن يعيد تسجيل بياناته بدقة، حتى لا يفقد ذاته في تلك المسافة الغائمة بين بابين.

راح يتلمس ذلك الشعور بالقلق والنشوة عند الانتقال والعودة بين عالمين. لم يصدر عن أقدامه الافتراضية أي صوت، ما اعتبره سحر الخفة المدهشة. خفة تشبه تحليق نورس فوق البحر. أن تكون وحدك وقد تخلصت من روث الجميع.

صفحته الجديدة دون إضافة الآخرين مثل سجن. مرآة باردة يكلم فيها نفسه. حتمًا سوف تتمدد جدران السجن مع إضافة الأصدقاء.. المخلصين فقط.. ستظل تتمدد تلقائيًا إلى ما لا نهاية. وسيأتي

t.me/qurssan

الجميع للمرح معه في الكوكب الأزرق. سوف يلتقط رفاق الدرب الذين تاهوا منه في زحام الحياة، وعجز عن التقاطهم بواسطة صفحته القديمة. تشاغل بالبحث عن أول صديق قرر أن يضيفه. صديقه أيام الجامعة.. ما جدوى البحث عن شخص لم تر وجهه منذ أكثر من ربع قرن ولا تعرف عنه أي شيء؟! فضول أم حنين؟!

وضع اسم «محمد الحسيني» بالعربي والإنجليزي، وبدل التهجئة الإنجليزية، فخرج له عشرات «محمد الحسيني» مفتش الآثار والصحفي ومن يعمل في «أعمال حرة»، لكن ليس بينهم وجه صديقه! كان الحسيني أول من أخذ بيده في طريق الشعر الحقيقي، ودله على إليوت وصلاح عبد الصبور. لكن بدلًا من أن يصله الفيسبوك بصفحته أوصله إلى خبر بأن الإخوان المسلمين في الدقهلية يهنئون أخاهم «الدكتور محمد الحسيني لحصوله على درجة أستاذ دكتور في الفلسفة الإسلامية».. انقلب الحسيني إذًا على إليوت وانضم إلى ابن تيمية! رأى وجهه وعلامة الصلاة ولحيته الشهباء، فاستغرب الدنيا كيف تغير البشر.. لم يعد هو «الحسيني» - كما كان يناديه - وإذا رآه الحسيني حتما سيقول عنه نفس الشيء.

عندما تضيف شخصًا فأنت أيضًا تضيف عالمه بكل هرائه. تضيف فوق البيعة كل المقربين منه، أولئك الذين يتكلمون معه بشفرة تخصهم دون سواهم. شفرة تمنح تفاهاتهم معنى. حتى لو نجح في الوصول إلى صفحة الحسيني فهذا يعني أنه سيضيف معه ـ غصبًا عنه ـ جماعة

t.me/qurssan

الإخوان عن بكرة أبيها! هذا ما يجب أن يحذر منه، فهو لن يضيف إلى حياته أي شخص إلا بملقاط ذهبي.

مازال منتشيًا بالعالم الجديد الخالي من البشر.. لِمَ لا ألتقط قرنفلة وأغرسها هنا فيفوح عطرها؟ أمر رائع أن يبدأ المرء حياته الافتراضية الجديدة برائحة طيبة! حياة لا تطاردك فيها بنت البحر بهلاوسها وأكاذيبها. ولا تتسول فيها «اللايكات» من أحد.

هكذا أصبح موجودًا بطريقة لا يستطيع أن يدلل عليها.. مُعلقًا بطريقة مرحة بين عالمين. عاش لحظة مماثلة قبل خمس سنوات، عند فتح صفحته القديمة.. لكنه لا يتذكر كم مر من الوقت وهو وحده في عرائها، ولا متى بدأت الحياة الصاخبة بظهور أول «بروفايل» تبادل معه الكلام! لا يتذكر «البروفايلات» الأولى التي دخلت آنذاك إلى وجوده الافتراضي ولا تلك التي كان لها تأثير ملهم عليه، ولا متى اكتشف أنه «مدمن بروفايلات»، يضيف وجوهًا لا يعرفها ولا يعرف لماذا أضافها! ناس ادّعوا أنهم أصدقاء ثم خانوه.. وناس ادّعوا أنهم قراء ثم سرقوا بوستاته وعصارة روحه.

وجوه كثيرة ظلت قابعة لسنوات في ذيل القائمة، لا تكح.. بالكاد يتذكرها. وجوه مرت في طريقه خلسة ولم يتبادل معها أكثر من تحية عابرة. وجوه نساء أحب أن يتكلم معها، لكنها لم تمنحه تلك الفرصة أبدًا.

t.me/qurssan

مـن يضمـن أن صفحتـه الجديـدة ـ مع الوقـت ـ لن تكون نسـخة مكـررة مـن صفحتـه القديمة؟ أشـخاص تحـرص علـى التعليق على كلامهم فيتجاهلونك ثم تراهم وهم يعلقون على تفاهات أي «.....»! ستظهر أيضًا «بنت البحر» أو بنت آوى. من يضمن ألا يظهر من يزيف صفحتك بطريقة أسـوأ؟! ليس معقولًا أن يعالج تزييف صفحة باسمه بأن يزيف لنفسـه صفحة باسـم حركي! ما الفائدة إذا أعاد إضافة نفس الأشـخاص تقريبًا؟ هـذه المـرة كأصدقاء لـ «ابـن ماركـس»؟ طالما تورطت هنا عليك أن تتقبل قواعد اللعبة كاملة.

بعـد اكتشـافه لمسـار صديقه محمـد الحسـيني تضاعف شـعوره بالارتباك والقلق من فكرة أن تكون لديه صفحة مزيفة. سـمع منذ فترة عن زميله الشـاعر «ع.ر» الحائز على جائزة الدولة، بأنه يمتلك سـبعة حسـابات بأسـماء فتيـات لا يطاردن إلا الشـعراء الكهـول! هل تكون «بنت البحر» متواطئة ضده مع «ع.ر» نفسـه؟

اعتـاد أن يغيـر كلمات السـر للمواقع المختلفة ثم ينسـاها كعادته، لذلك خصص لها «أجنـدة» هاتف بغلاف أخضر، يتركها دائمًا بجوار «اللاب توب». فماذا سـيفعل مع مشكلة نسيان «الباسوورد»، بعد أن أصبح يملك صفحتين في نفس الموقع؟

مـن وحي هذه الحالة كان أول ما كتبـه في صفحته الجديدة مقطعًا مما يسـميه «شـعر إلكترونـي».. طالمـا يوجد مُخبـر إلكتروني وحب إلكتروني فلماذا لا يكون هناك شعر إلكتروني؟!

t.me/qurssan

«الفيسبوك يأكل دماغك بهدوء

وإذا نسيت «الباسوورد»

سوف يغتالك

ثم يخترعك من جديد

يخلق منك نسخًا لانهائية

مثل صانع مفاتيح

يهدي الآخرين كل المفاتيح المحتملة

للوصول إليك»

كتب هذا المقطع ثم غادر قبل أن يضيف أي صديق.. لم يرق له أن يعيش ما تبقى له من حياته متخفيًا ولا أن يظل يهرب من صفحة مزيفة إلى أخرى. غادر صفحته الجديدة وتركها عالقة في فضاء الكوكب الأزرق، وليس بها سوى باقة قرنفل أبيض ولحية ماركس ومقطع شعري لم يقرأه أحد!

t.me/qurssan

23

صلاة الكاهن أميك

2:30 AM

تبدل للتو cover صفحة مهلبية من حقل اللافاندر البنفسجي الواسع، إلى لوحة سوداء في وسطها: «يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية»، بخط رقعة أبيض.

كان بإمكان الأعداد القليلة التي مازالت مرابطة على الوول أن ترى التغيير المباغت، ولعل أحدًا منهم تساءل: إذا كانت صاحبة الصفحة قد ماتت فمن هذا الذي معه «الباسوورد» وقام بذلك؟ هل هو مسئول يتولى بتفويض من زوكربرج معالجة مثل هذه الأمور المحزنة؟

ثمة شعور غامض بالريبة، وعدم التصديق، فرغم عشرات المعجبين ومئات اللايكات التي كانت تحصل عليها، لم يتحمس أحد قرابة ربع ساعة للتعليق على تغييرات بها رائحة موت.

بعد مرور 17 دقيقة ظهر أول تعليق من «حرفوش». بدا كمن تاه وسط أنقاض بيت مهجور ثم وجد نفسه فجأة مفزوعًا من علامة الحداد:

t.me/qurssan

- «مين اللي مات يا أخت مهلبية؟» ظنًا منه أنها فقدت عزيزًا لديها. لكن أحدًا لم يرد عليه. ثم عاد بعد عشر دقائق بإصرار غريب: «وحدووووه»!

خلال ذهابه، ثم عودته، كان ذلك الشخص الآخر قد قام أيضًا بتبديل صورة البروفايل، فتلك الفتاة الممتلئة قليلًا التي يثير صدرها العاري ما لا يُحصى من تنهدات الرجال، لم تعد مناسبة لجلال الموت.. وضع بدلًا منها صورة غائمة ليست أكثر من خطوط بالقلم الرصاص. بورتريه رسمه زيزو بطريقة مروعة لكنها كانت تعتز به.

أصبح شكل الصفحة أكثر كآبة وانقباضًا. كتب الشخص المتحكم فيها:

- «ولما اكتملت أنوثتها.. نامت على رجاء القيامة»

هذه المرة، ظهر الاسم بوضوح « الكاهن أمبيك» وصورة بروفايل لرأس فضي يشبه تمثال الأوسكار على خلفية بنفسجية.

مع تغيير الصور وتعليق «حرفوش»، ازداد التفاعل وعلق أكثر من شخص يستنكر ويبدي عدم التصديق لأنها كانت مرحة ونشطة جدًّا على صفحتها قبل أقل من ساعتين. فرد عليهم « الكاهن أمبيك»:

- «وهل المرح يا سادة يمنع أحدًا من أن يموت؟!»

بعد تساؤله المفحم هذا، تغيرت معظم التعليقات: «الله يرحمك يا مهلبية»

t.me/qurssan

ـ «مستحيل.. هذا الكلام كذب.. مهلبية مثل القطط بسبع أرواح!»

هذا ما كتبته صديقتها «الأستاذة» وهو لقبها المعروف بين زبائنها. فهي بالفعل كانت أستاذة في كلية الحقوق، وعرفتها مهلبية على زيزو الذي رتب لها مواعيد غرامية في شقته مقابل عمولة كانت تدفعها عن طيب خاطر، من عائد بيع «الملازم» لطلابها في الجامعة. ولم تكن «الأستاذة» تمارس الدعارة بل فقط تشبع رغبتها في قضاء وقت ممتع مع شباب أصغر منها في العشرينيات والثلاثينيات من العمر، والأمر كله لا يتطلب منها أكثر من ارتداء باروكة وماكياج مبالغ فيه لإخفاء هويتها الرصينة.

تشكيك «الأستاذة» أوقف مؤقتًا سيل الترحم عليها. لكن «الكاهن أمبيك» أطل مرة أخرى بصلعته الفضية وكتب تدوينة طويلة:

«لقد ورد إلينا في قسم تطويب الموتى بالفيسبوك تقارير تفيد أن أختكم مهلبية خرجت لشراء جبنة وزيتون في منتصف الليل تقريبًا وركبت التوكتوك فبدل توصيلها إلى السوبرماركت هرب بها لأحراش كرداسة. وهناك اغتصبها سائق التوكتوك هو وصاحبه المسجل خطر.. وقد نشر شاهد عيان في صفحته أنها عضت سائق التوكتوك في منطقة حساسة فاهتاج وطعنها بالمطواة عشر طعنات.. وظلت أختكم ملهبية غرقانة في دمها حوالي ساعة إلى أن تعثر في رجلها فلاح عابر، فاتصل بالبوليس. ومن لا يصدق هذه المعلومات يستطيع أن يذهب بنفسه إلى قسم شرطة كرداسة الآن. لا كلام هناك سوى عن

t.me/qurssan

القتيلة العريانة.. سيارة البوكس والسرينة والفلاشات الضوئية لمت كل الأهالي للفرجة عليها وهي نائمة بجسمها مثل وحش جميل! وقد تحققنا من هذه التقارير بأنفسنا بعد رفع وتشيير العديد من صور موتها في أوضاع مختلفة، وإن كان بعض من رفعوها لا يعلمون من هي.. بل كانوا يأملون أن يتعرف عليها أحد من أهلها.

صحيح أنها قاومت - كما تشير التقارير الواردة إلينا - لكن من جواها ربما كانت تشتهي مضاجعة وحشية تصفّي كل رغباتها المجنونة قطرة قطرة.

من كان يتخيل أن تلك النهاية السوداء هي مصير إنسانة سكرت بحب الدنيا؟ إنسانة أسكرتنا كلنا بحب الحياة.. ميتة بشعة يا إخواني! من يصدق أن تموت شهيدة نصف كيلو جبنة وربع كيلو زيتون؟

رغم كل المرح والدلع تموت هكذا ميتة الكلاب! لا تتخيلوا حالة الحزن التي انتابتنا نحن الكهنة في قسم تطويب موتى الفيسبوك.. إلى درجة أن أحد زملائنا من الأمابيك الشباب قال: ألم يكن من الأفضل أن تقبض عليها مباحث الآداب هي وزوجها بتهمة تبادل الزوجات؟ رحمها الله.. كما تعلمون.. كانت معجبة بصفحة تبادل الزوجات.. وربما اكتشفت الشرطة فجأة أنها كانت متزوجة من ستة رجال، بعقود مزورة، ومن دون أن يعرف أي واحد فيهم اسم شريكه في استعمال جسمها! أليس ذلك أفضل من قتلها المروع في الأحراش؟!

أتفهم يا أخوتي في الإنسانية أن بعضكم لن يصدق حرفًا واحدًا من كلامي مع أن الإنسان يموت في أي لحظة! قد تدهسه شاحنة أو

t.me/qurssan

يمـوت بأزمة قلبية فـي البلكونة أو بصاعقة تحت المطر! ومثلما انضم أنـاس إلى الكوكـب الأزرق فـي ليلتنـا المباركة هذه وبـدءوا حياتهم الافتراضيـة، وهـذه حقيقـة تدركونهـا جميعًـا، فلابـد أن هناك أناسًـا غادروه واختفوا إلى الأبد.

مـن حق كل واحد فينا يا أخوتي أن يحلم بمصير أفضل لكن من منا يحصل فعلًا على مصير أفضل؟! كلنا نموت فجأة، وبقسوة.. كلنا يختبئ لنـا الموت في مكان ما.. ولابـد أن بعضكم على الأقل قد قرأ الروايات الروسـية العظيمة ورأى كيف كان أبطالها ينتهون نهايات مفجعة.. كأن العظمة الوحيدة التي تتاح للإنسان هي أنه يموت جديرًا ببؤسه!

هل فيكم أحد تمنى يومًا أن يقرأ رواية عظيمة من غير موت.. رواية يظـل أبطالها على قيد الحياة للأبد.. تحصـل لهم مآسٍ صغيرة لكنهم في النهاية يعثرون على الأمل والامتنان للحياة؟

وبرغـم إيماني العميق الذي يفرضه عليّ الكهنوت بحقيقة الموت والقيامة والحسـاب، لكنني مثلكم أتساءل: ماذا لو كنا ننام بدلًا من أن نموت؟ ننام وعلى وجوهنا ابتسـامة سـعيدة.. مثل أطفـال رجعوا من نزهة قصيرة إلى حضن أبيهم! لو أن كل جراحنا وآلامنا وآثامنا تتحول إلى ندوب خفيفة على وجوهنا سرعان ما تتلاشى أثناء نومنا الطويل.. وساعتها يغمرنا جميعًا ضوء وموسيقى وسلام!

صدقونـي يـا أخوتي أنـا مثلكم تمنيت لـو أن التوكتـوك الذي كان يجـوب الشـوارع لاقتنـاص الفتيـات الشـغوفات بالرغبـة أخطـأ فـي اصطيادهـا. ومـازال لـدي بصيص أمل أنها سـتظهر مـن جديد وترفع

t.me/qurssan

لنا أغنية «عودوني» .. هل تصدقونني إذا قلتُ لكم إن جميع الزملاء الأمابيك في قسم تطويب الموتى كانوا يخرجون عن وقارهم الكهنوتي ويرقصون على إيقاعات هذه الأغنية بمجرد أن تقوم بتشييرها؟!.. عودوني.. عودوني عليك أحبك.. دائما كنت أحب أن أتفرج على المرحومة وهي فرحانة مع عشاقها. أليس هذا أفضل من أن تهيم روحها في أحراش وظلال لا تعرف عنها أي شيء؟!

قد تصدمكم قناعاتي الكهنوتية لاختلافها عن قناعاتكم التي أقدرها وأُجلها.. لكنكم لو كنتم مثلي قد تمت برمجتكم على احترام طقوس عشرة آلاف دين ومذهب، يعتبرها الفيسبوك شرعية لأتباعه.. لتفهمتم كل حرف أكتبه هنا كتعزية وعظة أمام جلال الموت. وأي موت يا أخوتي؟ موت شابة كانت آية في المرح والدلع!

وفي نهاية عظتي تلك لابد أن أخبركم أننا بحاجة إلى إقرار ثلاثة من أصدقائها ـ على الأقل ـ بأن مهلبية قد ماتت وأصبح جسدها تحت الأرض للأبد. فهذا الإقرار بمثابة تفويض لنا في قسم تطويب الموتى كي نكمل مهام عملنا ونستطيع أن نساعدكم في استحضار الفقيدة الغالية بهيئتها الإلكترونية عبر تشغيل برنامج Social death الذي حل كافة معضلات الموت والقتل والاختفاء الغامض. فالبرنامج يضمن لكم ألا تختفي صفحتها في السديم اللانهائي. وما أدراكم ما السديم اللانهائي يا أخوتي؟!

هذا البرنامج قد نسخ نسخة إلكترونية من وعيها؛ لكي يظل فعالًا للأبد. فحتى وهي في العالم الآخر ستبقى متصلة بكم.. وستقول

t.me/qurssan

كلمتها إلى ما لا نهاية وسيعيد البرنامج نشر تعليقاتها، ويرسل تهانيها في أعياد ميلادكم في نفس المواعيد وبالطريقة المرحة نفسها التي كانت تكتب بها التهاني.

هنا في عالمنا الافتراضي لا مبرر لوجود رجال دين أفاقين.. لا داعي لإلقاء نظرة أخيرة لأنه لا توجد نظرة أخيرة. وثقوا أن سيدي زوكربرج سيرعى صفحتها بمحبة، وسيُبقي عليها مفتوحة ومتصلة بالعالم، بكل صورها وياسمينها ودباديبها وشقاواتها وحقل اللافاندر وقهوتها الصباحية وأغاني عمرو دياب.

وقد قام الكهنة الأمابيك فور سماعهم بالنبأ الأليم بتخصيص قبر افتراضي لائق بها، مدون عليه كل الأسماء التي استعملتها في حياتها الافتراضية وكل أسماء التدليل التي خاطبها بها عشاقها. والآن أدعوكم يا أحبائي للصلاة من أجل روحها وفق أي دين تؤمنون به.. ومن كان حقًّا يتمنى لها السلام والسكينة في العالم الآخر يمكنه أن يردد معنا تلك الصلاة التي اختارها المتصفح آليًّا ورآها الأكثر تعبيرًا عن شخصية مهلبية ونهايتها الأليمة، وهي صلاة مأخوذة من الإنجيل بعد إجراء تعديل طفيف عليها:

«يا سيد

ارحم ابنتي

فإنها تُصرع وتتألم شديدًا

وتقع كثيرًا في النار

وكثيرًا في الماء».

t.me/qurssan

22

تدوينة «من علي لجيب إلى اللا علي لجيب»

2:02 AM

الأصدقاء الأعزاء:

أتعرض منذ فترة لحملة سخيفة حيث تم اختراق حسابي أكثر من مرة، ثم كانت الطامة الكبرى بوضع صورتي على حساب وهمي.. ما فجر في داخلي عدة أفكار:

أولًا: أقول لمن انتحل هويتي: أنت تعلم أنك أحقر من الحقارة وإلا لما تخفيت في عتمة حقدك مثل خفاش عالق في دماء الآخرين.. ولو استمرت حملتك الدنيئة إلى يوم القيامة، فلن تربح شيئًا وأستطيع أن أحصي لك ألف إنسان أعظم مني اتُّهموا من حقراء أمثالك، وإلا كيف نعرف النبلاء لولا حقارة الحقراء أمثالك؟!

ثانيًا: من يزيف باسمي صفحة واحدة، يستطيع أن يزيف ألف صفحة، لذلك كنتُ مذهولًا عندما عثرت على أكثر من مائة شخص يتطابقون مع اسمي.. كان من المسلي لي التعرف على رابطة «حاملي

t.me/qurssan

اسـم علي نجيـب». ملاحظة طباعهـم واختياراتهم في الحيـاة. فمثلًا معظمهـم لا يبتسـم فـي «البروفايـل». ومن بيـن كل هـؤلاء كان هناك ذلك الشـخص الذي انتحـل هويتي ووضع بيانـات دقيقة لا يمكن أن تتشـابه مع غيري، فأنا الوحيد الذي كنت عضوًا في الحزب الشيوعي، ومطلـق، ولديّ ديوان بعنوان «أرجل خشـبية في متاهة الذئب». ثلاث علامات لا تحتمل التطابق مع أي علي نجيب آخر!

ثالثًا: ذلك الآخر الذي يكره ابتسـامة الوردة وشجن الناي ونقرات المطر على نوافذ الصباح، يتسـلل إلى حساباتنا، للحصول على أفضل تفسـير باطنـي لكل منا. يتسـلى بنا في لعبة فضـول لانهائية. فطالما أن لا أحـد ظاهـره كباطنه، إذن ثمة أسـرار مخفية. ما جدوى مـا أقوله أنا أو ما تقوله أنت، إذا كان ذلك الآخر مشـغولًا بكل حواسـه بالحفر في عتمتنا لاكتشاف ما لا نقوله والتشهير بنا؟!

ليـس بالضـرورة أن يكون الشـاعر مجرد شـاعر، فحتمًـا وراء هذا القناع كهل مولع بمطاردة شـاعرات صغيرات السـن. أحوالنا تتقلب، نقاط ضعفنا تتغير، هذا غير مهم، فهذا الآخر لن يرهق نفسه في متابعة تقلبـات مزاجنـا. سـيظل يجمع ما يكفي مـن الأدلة حتـى تكتمل أمام الجميـع صورتنا مشـيطنة.. كي نبقى عالقين إلى الأبـد في فخ التأويل السـيئ. وهنا لا أنسـى مقولة لكاتب لا أتذكر اسمه بأن العاقل الوحيد الذي التقاه هو «الخياط» لأنه كلما ذهب إليه أخذ مقاسه من جديد!

t.me/qurssan

نعتبره عدوًّا! مَن هم داخل الدائرة لا يرحمون أبدًا من يحاول الانعتاق منها. قطيع مدهش، يظل يلصق «اللايك» فوق «اللايك»، يكرر كلمات كتبها غيره.. كلمات تافهة يظل صداها يتردد إلى ما لا نهاية.

ثامنًا: كل شخص منا يظل ملتصقًا بصفحته، يوفر لعدو لا يراه، كل ما يريده كي يستخدمه ضده يومًا ما. مثلما نحتاج إلى الحرارة لتظهير الحبر السري، فإن الإغواءات التي نكتبها جميعًا بلا ملل، ما هي إلا عملية تظهير اللاوعي بكل ما يدور فيه. فنحن عالقون وسط أطنان من التفاهات والمجاملات وسوء الفهم وضراوة الجدل. ولا أحد يفهم لماذا كتب ما كتب!

تاسعًا: قديمًا باع فاوست روحه للشيطان مقابل إكسير السعادة والخلود، الآن الناس تبيع نفسها لـ«الفيسبوك» بلا مقابل.. تبحلق إلى ما لا نهاية في شاشة مشوشة بالصور والبذاءات. كلام وأكاذيب تحاك، في المقاهي، في محطات الباص ثم يعاد تضخيمها وتجميعها على «الوول». آلاف اللصوص يطلقون على أنفسهم «رجال أعمال»، آلاف يزعمون أنهم «شعراء» و«إعلاميون». لا أحد يعترف بحقيقة ذاته.. لا أحد يكتفي بدوره بل يرغب في لعب كل الأدوار. فهل البشر مصابون بهوس ارتداء أقنعة لا تخصهم.. أم هم عاجزون عن مواجهة حقيقة أنفسهم؟

عاشرًا: ما أخبث الأصدقاء الذين يهزون أكتافهم في لامبالاة وهم يشاهدون عملية قتل افتراضية، تتم ببطء شديد. فما معنى ألا تجد أي

t.me/qurssan

رابعًـا: هـذا الآخـر ديكتاتـور صغير يريـد إذلالنا بضعفنـا الأزلي. يتلصص عليّ وعليك كي يسجنك في قالب: «الأراجوز»، «المنحرف جنسيا»، «العميل السـري». ليبقـى متحكمًا فيك، متعاليًـا عليك إلى الأبد. وكما قال أنسي الحاج: «من صنّفك قتلك».

أحتقـرك.. أتعالـى عليك.. أسـتغلك.. تلـك هـي ثلاثيـة الأفعـال المفضلة لدى معظم البشر.

خامسًـا: إذا كان عشـرة من مدعي الأخلاق انسـحبوا من صفحتي وعشـرون توقفوا عن «اللايك»، فإنني شـخصيًّا حذفت 900 شـخص مـن قائمتي؛ لأنهم لا يضيفـون إليّ ولا أضيف إليهم.. وإذا رغب هذا «الـلا علـي نجيب» يمكننـي أن أتنازل له عن ثلثمائـة آخرين يزين بهم صفحته المزورة.

سادسًـا: عشـرات الأسـماء حولنا تدعي صداقتنا ثم نشـعر بوطأة وحـدة قاتلة! أذكـر أنني في إحـدى المرات غبتُ أكثر من أسـبوعين، وعندمـا عـدت وفتحـت صنـدوق الرسـائل لـم أجـد رسـالة واحدة تطمئـن علـيّ! سـاعتها أدركـت أن المكان الـذي لا يفتقـدك فيه أحد طوال أسـبوعين، حتى وإن كان مضاء وتعزف فيه السـيمفونية التاسعة لبيتهوفن، حتى وإن كان متصلًا بالعالم كله، هو قبر حقيقي!

سـابعًا: مـن المؤكـد أن آخريـن ـ نعرفهـم أو لا نعرفهـم ـ سـوف يصدقـون أي شـيء عنـا، وليس علـى المـرء أن يعيش كي يبرر نفسـه للآخرين.. وللأسف نحن دائمًا نتعامل بمنطق «القطيع» وأي مختلف

t.me/qurssan

«لايك» على ما تكتبه؟ معناه أن ما تكتبه غير مهم، وأنت نفسك غير مهم.. غير موجود.. أنت لا أحد..

العالم كله يتحلل وينتحر في متاهة «الفيسبوك»! وجود شائه مشوه زائف مزيف. فمن منا يدري أن وجوده هو نفسه في الحياة ليس سوى وجود مزيف؟ أنا نفسي شاعر لم يعد يكتب الشعر.. وهناك من لا يعتبرني شاعرًا من الأساس.. كيف أدلل على وجودي في عالم افتراضي إذا كنت أعجز عن إثبات وجودي في الحياة؟! كيف أكون حقيقيًا وأنا أتشابه مع عشرات الأسماء الأخرى.. نفس البيانات والأرقام، ونفس الرغبة في عدم الابتسام؟!

أخيرًا: يعلم الله أنني لم أفتح هذه الصفحة طلبًا لشهرة، فلم تعد تفرق معي إذا مت وتركت عشرة دواوين لا يقرؤها أحد أو إذا مت ولم أترك إلا دفتر خواطر ملوثًا برماد السجائر وبقع القهوة الجافة!

علي نجيب

الثانية صباحا

الأربعاء 23/ 5/ 2012

t.me/qurssan

21

طلب إضافة

1:30 AM

أثناء جلوسه في مقهى أندريا، انتبه علوي إلى إشعار بطلب صداقة من «صوفي هوارد» فدخل لاستكشاف صفحتها. لا شيء سوى أدعية ونكت وصور عارية لنجمات من أيام الأبيض والأسود.. مع اهتمام خاص بصور صوفي هوارد بالمايوه البكيني.

علوي ضد إضافة الأسماء المستعارة في الأحوال العادية، وبعدما فعلته «عاشقة وغلبانة» تضاعف شعوره بالغضب والاستفزاز من أي اسم مستعار. فكر في تكوين جروب اسمه "محاربو الأسماء المزيفة" لإغلاق كل هذه الصفحات الوهمية السابحة في الفضاء. لا يدري سر هوس البعض بإضافة أشخاص لا نعرف عنهم أدنى معلومة! يمكنه أن يوسع الجروب ليشمل أصحاب الأدوار المزيفة والأقنعة المزيفة والقيم المزيفة.

راح يقلب في ألبومات «صوفي هوارد»، يفتش عن أي خيط يربطها بـ «عاشقة وغلبانة». لا يوجد أي صديق مشترك بينه وبينها

t.me/qurssan

سوى شخص واحد عديم الأهمية اسمه «قناع زيزو».. هل تكون هي نفسها «عاشقة وغلبانة» أم أن الاثنتين مجرد قناعين لهذا الشخص الآخر الذي يظن أنه عديم الأهمية؟!

انتبه على صوت منال:

ـ «الموبايل آخدك مننا يا دُك!»

لحق بأياديهم المرفوعة، وقرع كأس البيرة في كؤوس بقية الشلة الغارقة في نوبة ضحك. أيد حماسهم لفكرة السفر إلى براري كينيا وإن لم يستوعب تفاصيل الرحلة.

أثناء رشف البيرة ضبط نفسه مستغرقًا مرة أخرى في تلك الأسماء الوهمية التي تطارده هذه الليلة.. وتعكر مزاجه.. الأمر يشبه إحساس من عثر على بقة فراش اسمها «عاشقة وغلبانة»، وقبل أن يتحاشى أثرها الضار، اكتشف بقة أخرى اسمها «صوفي هوارد» وبقة ثالثة اسمها «بنت البحر». هذه هي اللعنة بعينها! من يضمن ألا يكون لكل أصحاب الأسماء الوهمية علاقة بتلك الشركة التي منحته لقب «كلب الفيسبوك الأمين»؟!

في الثالثة صباحًا انتبهوا أنهم جميعًا صمتوا عن الكلام واكتفوا بالعبث في أزرار هواتفهم. أصابتهم العدوى من صمت علوي على الأرجح. حتى ماهات الضاحك الأبدي استسلم أخيرًا لحالة عدم الضحك. فوارغ البيرة، وأطباق المزة غطت بأشكالها المعدنية

t.me/qurssan

والزجاجية، سطح الطاولة، وحولها تناثر قشر الترمس والفول السوداني.

ألقى علوي نظرة جانبية على مؤخرة منال وهي تنهض متثاقلة، وألقى ديفيد نظرة على نظرة علوي قبل أن يخبرهم وهو يسبقهم بعدة خطوات، أن بحوزته في السيارة لفافة حشيش لزوم استكمال السهرة. اعتذر علوي عن الذهاب معهم. أثناء مغادرة المقهى كان يلح عليه أن يخبر منال بأنه لا يريد رؤية ديفيد مرة أخرى. قاوم التصريح بذلك إلى أن همس متلطفًا تحت وطأة السكر الخفيف، بأن ارتباطها بشخص يهودي قد يجلب لها مشاكل كثيرة، والناس أيضًا لن تتقبل بسهولة فكرة زواج مسلمة من أمريكي يهودي.

ـ «شرعًا لا يجوز».

ردت ساخرة بصوت عال وهي تضحك وتقاوم دوخة خفيفة، وعدم اتزان في مشيتها:

ـ «وأنت مالك ومال الشرع يا مولانا؟!»

كان سؤالها هزليًا. مجرد سؤال سكرانة. عاد ديفيد وهو يقود السيارة ويقف بمحاذاتهم تحت أقواس الإضاءة الخابية التي تومض وتنطفئ على مدخل المقهى. ركب معه ماهات وصديقته. أما علوي فمضى مع منال إلى سيارتها. ربتت على كتفه وأكملت كلامها: المحبة متبادلة فعلًا بينك وبينه، لدرجة إنه يصفك بأنك شخص Boring!

t.me/qurssan

كانت تكلمه وهي تتراجع بجذعها إلى الوراء وتلوح بسبابتها بطريقة واهنة ومغوية.

تروقه تعبيراتها اللاذعة ولمسة اللامبالاة في تصرفاتها. كانت لا تهتم بالنظر في عينيه وهي تتكلم.. واصلت الضحك والثرثرة بسخاء وهي تقود السيارة. خلال فواصل الصمت، دار في رأسه أنها ربما تركن سيارتها على طريق المريوطية شبه المعتم وتقفز في حجره مثل قطة هائجة. كان يشم رائحة الشهوة تنبعث منها. لِمَ لا يستعيدان لحظة من لحظات الشقاوة القديمة؟ حالة مجنونة لخمس دقائق.. بعدها ينسى الاثنان الليلة كلها ويستأنفان حياتهما كصديقين لطيفين مرة أخرى.

اكتفى بإشعال سيجارة لها وهي تقود. صمتت فجأة وتلاشت من وجهها كل تعبيرات المرح التي احتفظت بها طيلة السهرة. ظلا صامتين ما تبقى من الطريق إلى أن ودعته على ناصية الشارع الصغير الذي يسكن فيه. تركته لنباح كلبين ظهرا على بعد خطوات من بيته.

برغم الدوار الخفيف، لم يكن يرغب في النوم. دخل إلى مكتبه وأضاء الأباجورة. قاده الفضول مرة أخرى لاكتشاف سر «صوفي هوارد»! لماذا ترسل إليه طلب إضافة بعد الواحدة صباحًا؟ ليست صدفة أن يكون هذا أول طلب إضافة بعد فخ «عاشقة وغلبانة»! تأمل الحكم والأدعية التي لا تتوقف عن تشييرها: «الضربة التي لا تقصم الظهر تقويك».. سخر في سره من هوسها بالعبارات الحكيمة..

t.me/qurssan

عشرات الستاتوسات الأخرى في صفحتها يمكن تلخيصها في ستاتوس واحد: «أنا بحاجة إلى حضن رجل»!

حياتها كلها معلقة بـ«ستاتوس» لا يكتمل.. ترددد سرًا وعلنًا إلى ما لا نهاية. ستاتوس لا يزيد عن خمس كلمات، ربما عاشت تكتبه ببطء شديد حرفًا حرفًا، أو هو مكتوب سلفًا في اللوح الأزلي الخاص بها وهي فقط مسحت الغبار عن حروفه!

الجميع مثل «صوفي هوارد».. العالم كله عالق في عدد ضئيل جدًا من الستاتوسات توزع علينا عشوائيًا.. لكل منا ستاتوس أزلي كان مكتوبًا قبل أن نولد ويظل يطاردنا طيلة حياتنا.. سخر من نفسه هو أيضًا لأن عدوى الحكم التي قرأها في صفحة «صوفي هوارد» انتقلت إليه وهو سكران في الرابعة فجرًا!

«عاشقة وغلبانة».. «صوفي هوارد».. رسالته المشئومة.. تجاهل هدى للرد عليه.. الرغبة الفجائية في جسد منال.. حقارة ديفيد.. الرائد إسلام عبد الرحمن.. براري كينيا.. دوار البيرة الذي يجعله يرغب في التفلسف مع نفسه فجرًا.. كلمات قليلة كانت تدوي في رأسه لها ثقل العالم كله.

t.me/qurssan

20

سيجارة وكاس في مطعم أندريا

1:01 AM

بينما كان الجرسون يضع دفعة جديدة من زجاجات البيرة على الطاولة وهو يعيد مسحها بفوطة في يده، أشعلت منال سيجارة وكتبت من موبايلها:

ـ «سيجارة وكاس في مطعم أندريا»

في ثوان حصلت على 300 لايك! وتعليقات كثيرة:

ـ حرفوش: «شكلك ضاربة حشيش يا مينو!»

ـ حفيد الشعراوي: «اتقي الله يا أخت منال»

ـ عادل شوقي: «جنونك.. يناسب جنون الفيسبوك الليلة»

قرأت التعليقات وابتسمت. اكتفت بوضع لايك على بعضها وتجاهلت بعضها الآخر. كان ديفيد قد أخبرها قبل جلوسهم مباشرة، بحصولها على الـ Green Card وكان معهما في السهرة صديقها الكيني ماهات وصديقته ماتنجي وهي فتاة تبدو أصغر من سنها. تدللها منال

t.me/qurssan

«مانجـا». بيـن ماهات ومنال جلـس أحمد علـوي. كان الوحيد الذي يضع يده على خده الأيسر، كأنه في ندوة فكرية.

احتفـالًا بالجرين كارد رفعـوا كؤوس البيرة الفائـرة وقرعوها. في نوبـة الضحـك والمرح اتفـق الجميع باقتـراح من ماهات علـى القيام برحلة سفاري في براري كينيا، الأسبوع بعد القادم.

رغـم تبادل النكات والكلام عن السـفر والمغامـرات واحتمالات فوز مرسي أو حمدين ومستقبل مصر لو حكم الإخوان، كان كل منهم يختلي للحظات مع هاتفه. منال كانت تطمئن على غلتها من اللايكات، وعلوي لم يتوقف عن مراقبة الستاتوس الذي كتبه قبل نزوله، كما رفع عـددًا مـن اللينكات عن البينالـي الدولي الذي سـيمثل مصر فيه. خبر مفرح كي يستقطب التهاني ويقلل من تأثير حقارة «عاشقة وغلبانة».

كانـت منال قـد أخفت عن علـوي أنها التقت قريبهـا ضابط الأمن الوطني، السبت الماضي، حيث حذرها من علاقتها بديفيد! وكان هذا من أهم الأسـباب التي جعلته مترددًا في قبول سـهرة يوجد فيها ديفيد، فقريبهـا الضابط اتصل به مسـاء الأحد، وأخبره أنه الرائد «إسـلام عبد الرحمن» من «أمن الدولة»، رغم أن الحكومة بعد ثورة يناير غيرته إلى «الأمن الوطني»، لكن في مثل هذه الأمور اسم الشهرة يتفوق على أي اسم رسمي.

«أمـن الدولـة»! ابتلع علوي ريقـه بارتبـاك. وأدرك الضابط تلعثمه عبر الهاتف، فلطف من لهجته وتملقه بأن هنأه بتمثيل مصر في البينالي

t.me/qurssan

الدولـي، ثم قال له: «أنت فنان تشـكيلي ذكي ورجل وطني معروف». «رجـل وطني معـروف» كانت كلمـة مهذبة تعني أننـا نعرف عنك كل شيء! أخذ علوي نفس ارتياح ورد بعفوية: «من ذوقك يا باشا».. سأله صراحـة عن علاقتها بـ«الواد الأمريكي» صاحبها، ثم طلب منه بلطف أن ينصحها.

لم يقل شـيئًا آخر، تـرك الأمور لفطنة علوي الـذي مازال يفكر في أبعـاد كلمة «ينصحها» وهو ينظر إلى كتف منال. كانت ترتدي فسـتان سـواريه أسـود، بلا أكمام. عنقها المشـدود يقسـم تدويرة الفسـتان إلى نصفين، نصف يظهر معظم صدرها المضغوط بقسوة تحت السوتيان، والنصـف الآخر يكشـف أعلـى ظهرهـا. كان يرى وحمة حبـة التوت أسـفل الرقبـة. نفـس الوحمة التـي لعقها يومًا مـا. على جانـب العنق يتدلـى هلال قرطها الفضي، وتتأرجح عليه كرات فضية بحجم حبات الحمـص. كان القرط، كلما ضحكت أو أمالت رأسـها، يصدر صليلًا خافتًـا ومغويًـا. جاذبيتهـا في أناقتها وثقتها بجسـدها، أكثـر من جمال جسدها نفسـه.

علـوي في هـذه اللحظـة ذاتهـا كان يراها فـي خياله وهـي ترتدي بنطلونها الجينز الملوث ببقع الألوان الزيتية، على بلوزة قطنية بيضاء، وتلم شـعرها إلى الوراء بتوكة بلاستيك برتقالية. هكذا تصورها، وهي تلتقـي قريبها. طالما أنه كان لقاء وديًّا كمـا أخبره على الهاتف، فحتمًا التقاها في كازينو على النيل، كحبيبين في بداية علاقة واعدة. لن يخطر

t.me/qurssan

على بال أي إنسان يراهما من بعيد أن يكون هذا الشاب هو ضابط أمن دولة يمارس سطوته الناعمة على إحدى قريباته، ويخبرها فيما يشبه التحذير المبطن، بأن الفضاء الافتراضي ليس حكرًا على المناضلين الشرفاء فقط، فهناك عشرات يدعون الصداقة والثورية وهم متورطون في كتابة التقارير. يتخفون وراء أسماء مثل: ضجر ضجر، وخط أحمر، وعاشقة جيفارا! وبالتأكيد بعدما أنهى الضابط كلامه الذي رتبه بدقة في رأسه، خطفت حقيبتها وغادرت.

كل تفاصيل اللقاء كان علوي ينسجها للتو في خياله. يدرك أنها ليست من النوع الذي يستجيب للنصائح ولا التهديدات، لكن هذه المقابلة التي أخفت تفاصيلها عنه جعلته مرتبكًا، باستثناء مسألة أخرى لا يعرف كيف يتعامل معها، فهو كان أستاذها ثم عشيقها لعدة أشهر ثم «مجرد صديق»، وها هي الآن تدعوه للسهر وتجلس بينه وبين خطيبها.. لا أحد يضمن أنها لم تخبره بمغامراتها العاطفية كلها! ثم ماذا عن هذا الكيني الذي ظهر فجأة في حياتها؟ معقول؟! بلغت بها الوقاحة أن تحتفل بالجرين كارد برفقة ثلاثة رجال ناموا معها؟! وإن كان نومها مع ماهات مجرد افتراض داخل وعيه.

فجأة اقترح ماهات أن يلتقوا هنا.. في مقهى أندريا.. بعد عشر سنوات على طريقة الأفلام.. كي يروا هل ستتغير العلاقات بينهم أم لا؟! علقت منال مازحة: «أكيد هاتتغير.. وساعتها هاتبقى عدوي اللدود!» شرحت بجدية أن العالم الافتراضي تسبب في انهيار سريع

t.me/qurssan

للعلاقـات الحقيقيـة والتشـبث بعلاقـات وهميـة. الناس هـذه الأيام روحها في مناخيرها ولا تحتمل كلمة أو اختلافًا في الرأي. بدا كلامها مفـككًا، وكان علـوي أقلهـم تفاعلًا معهـا، أفكاره المتشـعبة تسـحبه إلـى الداخل وهو يتأمل هـذا الـ «ماهات» الذي يبدو شـابًّا بعقل طفل لا يشغل باله بأي شيء جدي في الحياة عدا الخمر والنسوان والضحك وتقديم وعود غريبة للحياة. لا يعيبه سوى أن شفته السـفلى متدلية أكثر مما يجب. عدا ذلك فهو ذو جسد رياضي، وشعر مضفور Pony Tail. عيناه شـبه مسـتديرتين كعيني سـمكة. ورغم فلطحة أنفه كان لا يخلو من وسـامة ذكورية فاحشـة. مؤكد أنها شـعرت بطبول الزولو تدق في أعمـاق روحها عندما رأته لأول مرة. ومن يـدري ألا تضحي بالهجرة إلى أمريكا في آخر لحظة وتهرب للحياة بين ذراعي ماهات في براري كينيا؟!

19

أكاونت مضروب

1:00 AM

انتشر «هاشتاج زوكربرج فضحنا»، وسرعان ما امتلأ بالنكات والشتائم ضد مارك زوكربرج الذي سرق بوستات ملايين الناس وأسرارهم وأعمارهم ثم تخلى عن الموقع وتركه ينهار هكذا.. ابن العاهرة! لماذا أخذنا على غفلة ولم يخبرنا بموعد الانهيار؟ ولم يكن علي نجيب ليفوت فرصة المشاركة في «الهاشتاج»:

«اسمحوا لي بسؤال يا أصدقائي: لماذا يستثار فضولنا لدخول الموقع كل لحظة وكتابة كل ما يدور في وعينا؟! أليس ما نمارسه أشبه بعرض «إستربتيز»؟! كل منا يمارس رقصته المفضلة. ساعتها نكتشف أننا لا نتصفح «الفيسبوك» بل «الفيسبوك» هو الذي كان يتصفحنا. وهاهو يقوم برقصة «الإستربتيز» الأخيرة!

حتمًا زوكربرج هذا ينتمي إلى حراس الهيكل المذكورين في «شفرة دافينشي».. إذا لم تصدقوني انظروا إلى الشعار على

t.me/qurssan

الصفحة الخارجية.. واقرءوا المكتوب بعناية: «يساعدك الفيسبوك على التواصل والتشارك مع كل الأشخاص في حياتك» .. لماذا هو مصحوب برسمة تشبيك بين 13 شخصًا؟! لأنه الرقم المقدس لدى الماسونية العالمية! فلا مكان تحت الشمس ليس فيه مخبر، حتى لو كان كوكبًا افتراضيًّا فهو يعج بآلاف المخبرين الرقميين».

لم يعلق أحد على كلام علي نجيب عن رقصة «الاستربتيز» الأخيرة وحراس الهيكل والمخبرين الرقميين، ثم مضت ساعة كاملة اختفى فيها كل شيء ولم يظهر أمامه على «الوول» سوى نقاط زرقاء، وحين عادت الصفحة إلى شكلها الطبيعي لم يجد أي إشعار يوحي بأي تعليق! بل لم يجد «الهاشتاج» نفسه. ابتلع ريقه الجاف. فتش أيضًا عن آخر قصيدة إلكترونية نشرها، فلم يعثر لها على أثر. تداعت في رأسه ثلاثة احتمالات: إما أن شخصًا ما يحذف بوستاته نكاية فيه، أو أن الخطأ التقني الذي يجتاح الفيسبوك، أخفاها مؤقتًا وستعود للظهور لاحقًا، أو أن يكون قد توهم أنه كتب لكنه لم يكتب بعد، كعادته في النسيان. حدث قبل ذلك أن كتب شعرًا في رأسه ثم راح يتخيل التعليقات عليه في رأسه أيضًا. فكيف سيبدي الأصدقاء إعجابهم بشعر لا وجود له؟!

كيف يجرؤ الأوغاد على حذف وسرقة عصارة قلبه التي يوثقها بالتاريخ؟! في دولة المشاع هذه، لا حقوق ملكية ولا احترام خصوصية.. أكثر من مرة رأى قصائده مسروقة بكل بجاحة بعد

t.me/qurssan

تعديلات طفيفة عليها! ومعظم الستاتوسات التي يكتبها، كان يرى غيره يكتبها بعده، بدقائق معدودة، ويكتفي بتغيير بعض الألفاظ، وحين واجه أحدهم ادعى أن الأمر مجرد «توارد خواطر».. وأن الأفكار على «قفا من يشيل»! الأوغاد يسرقون روحه ثم يستكثرون عليه علامة إعجاب واحدة. لو كان اسمه «سوسو الدلوعة» لهطلت عليه «اللايكات» مثل زخات المطر!

آخر ما كان يتوقعه وهو يفتش عن تدويناته، أن يرى صفحة مزيفة باسمه. تطلع مذهولًا: «صفحة الشاعر علي نجيب» رغم أنه آخر من يعتمد مثل هذه الألقاب التافهة للدعاية لنفسه! صورته حقيقية وبياناته كلها كانت صحيحة، بما فيها تاريخ ميلاده واسم ديوانه الوحيد وسنة صدوره، وحالته الاجتماعية: «مُطلق»! حتى هذا السر الصغير الذي لا يعرفه كثيرون، كتبه أحدهم نيابة عنه! أرسل رابط الصفحة إلى هدى فنصحته بإعادة إرسال «اللينك» إلى أكبر عدد من الأصدقاء في قائمته لكتابة تقرير لحجب الصفحة المزيفة.

عندما دخل لأول مرة إلى هذا الكوكب الأزرق لم يفكر في حجب أحد، بل كان لا يتردد في إضافة عشرة أشخاص دفعة واحدة، لكنه مع الوقت اكتشف أن هناك ألف مبرر لاستعمال «البلوك»، وحجب أي «تاج»، وحذف أسماء منتهية الصلاحية لا تتفاعل معه. خلايا نائمة في قائمته.. المرعبون الصامتون كما كان يسميهم. لم ير منهم طيلة خمس سنوات سوى دعوات سخيفة للعبة «كاندي كراش».

t.me/qurssan

في عالمنا الافتراضي من يزعجنا نتخلص منه بضغطة (Unfriend).. بينما في حياتنا نعلق بشخصيات لا حصر لها خلع الضرس أهون من حذفها!

كان دائمًا مرتبكًا مثل طفل إزاء تلك الأزمات الإلكترونية، فكانت هدى تتولى تدريبه على ممارسة سلطاته الافتراضية من الغلق والحذف والتخفي عن الآخرين.

ظن أنه مع الوقت سيضاعف عدد أصدقائه، لكن لا توجد ضمانة ألا يكون له خمسة آلاف عدو بدلًا من خمسة آلاف صديق! إذا كان زوكربرج جعل لكل شخص حدًّا أقصى من الأصدقاء، فلا هو ولا غيره يستطيع أن يجعل لنفسه حدًّا أقصى من الأعداء! فالصديق قد يستأذنك ويقول لك: «شكرًا على الإضافة»، لكن العدو لن يستأذنك كي يصبح عدوًّا.

الكوكب الأزرق ليس خاصًّا بالملائكة والشعراء فقط يا علي يا نجيب، بل إن أعداءك فيه أضعاف ما لديك من أعداء على الأرض. عشرات المزيفين يمكنهم أن ينتحلوا شخصيتنا ويعيشوا غرامياتهم السرية بأسمائنا. «البلوك» أقل ما يمكن أن نفعله عندما نكتشف أحدهم، فلا نراه ولا يرانا. لكن ماذا لو كان هذا الشخص نفسه يتلصص علينا من حسابات أخرى لا نعرفها؟ «البلوك» لا يلغيه من الوجود، ولا يقضي على الصفحة المزيفة، بل فقط يمنع احتكاكه المباشر بنا. مجرد فعل عبثي! لكنه ـ على الأقل ـ ناجع مع الأشخاص

t.me/qurssan

الذيـن نعرفهـم.. هؤلاء الذيـن لا يتوقفون عـن إثارة المعـارك معنا.. فلا ندري هل طلبوا صداقتنا أم طلبوا عداوتنا! لا يمكن لإنسـان عاقل أن يبقى مرتديًا خوذة القتال الافتراضي على مدار السـاعة ولا أن يظل شاهرًا قرنه للنطح والرد على كل ضراط ينتشر في سماء الفيسبوك!

حذرته هدى من كثرة حذف الآخرين لمجرد شـكوك.. من نحذفه حين يجد نفسـه خارج عالمنا سيشـعر بإهانة ولن يغفرها لنا. شرحت لـه مـا قرأته عـن «جـرح المشـاعر الافتراضيـة» بسـبب تجاهل طلب صداقة أو حذف صديق. الأسوأ من هذا كله عدم الرد على من يعلقون علينـا. كان مقتنعًـا بكلامها عـن آلام الرفض الإلكتروني والاسـتعلاء علـى الآخرين؛ لأنه عانى مـن كل هذا وانتقده في «ستاتوسـات» كان يوثقها بالتواريخ. حتى هدى التي تشـرح أسـباب جرح المشاعر كأنها «بروفيسورة» في علم النفس الافتراضي، تعيش حياتها مجروحة أبدية من كل الرجال الذين عرفتهم!

اقترحت عليه حلًا أكثر لطفًا، إذا كان يشك في شخص معين يقف وراء الصفحة المزيفة، يمكنه أن يسـتبقيه في القائمة مع إخفاء تعليقاته عنه، بعمل «Unfollow» فيصبح وجوده كالعدم سـواء، دون أن نجرح مشاعره بالحذف الصريح.

ـ «قمة البؤس أن نضطر لمراعاة مشاعر من يتعمد الإساءة إلينا!»

ـ «أكيد فخ من معجبة ولهانة»

t.me/qurssan

ردت مازحة وهي في قرارة نفسها تتساءل فعلًا من سيهتم بانتحال هوية شاعر أصدر ديوانًا واحدًا وتجاوز الخمسين من عمره؟!

في طفولته وقبل أن يصبح شاعرًا تأثر بقصة القط الذي ارتدى جلد النمر كي يتباهى ويحمي نفسه من وحوش الغابة، لكن أمره يُكتشف في النهاية. كثيرًا ما كان يتأمل الحيوانات وهو يعتقد أن هناك حيوانات أخرى أكثر شراسة مختبئة تحت جلدها.

ما فعله القط مبرر، لكن ما الذي يستفيده من يرتدي اسمك وصورتك وبياناتك؟ للأسف «الفيسبوك» لا يطلب منك إثباتًا مؤكدًا، فما الذي يمنع أن تتكاثر من «بروفايلك» الحقيقي «بروفايلات» أخرى مزيفة منسوبة إليك؟

اسمك في عشرات «البروفايلات» المزيفة وأنت عاجز عن فعل أي شيء!

فكر أن يرسل إلى الآخر المزيف يسأله: أنا الشاعر عليّ نجيب فمن أنت؟ هل حقًّا تعرف كم قصيدة في ديوان «أرجل خشبية في متاهة الذئب»؟!

ختم كلامه معها وهو يُعزي نفسه: «عمومًا يا هدى.. الإنسان في نهاية الأمر ليس سوى «أكاونت» مضروب». أعجبته الجملة الأخيرة وفكر في نشرها على الملأ، لكن جملة أخرى استحوذت عليه أكثر:

«حقارة البشر لا حدود لها.. ثم يحدثونك عن عدم شرعية الانتحار.. كأنه قدر سيزيفي أن تظل متورطًا في هذه المزبلة الكونية». دوّنها في دفتر ملاحظاته على أمل أن ينشرها في وقت لاحق.

t.me/qurssan

18

00:00 AM

بياض تام. لا كلمات، لا روابط، لا إعلانات، لا مقاطع فيديو!

بياض تتخلله نقاط زرقاء دقيقة تمتد إلى ما لا نهاية، وفوق هذه النقاط راحت تتحرك آليًّا أيقونة لجسد امرأة عارية وزرقاء.

كانت المرأة بحجم الفراشة، تسير وتقفز من نقطة إلى أخرى.. ثم تهبط بخفة إلى أسفل.. إلى سطر النقاط التالي.. فالتالي.. إلى ما لا نهاية.....

t.me/qurssan

17

مسيار وتيك آوي!

11:59 PM

رأى زيزو اسم مهلبية مازال مضاء:

ـ «ممكن زيارة الليلة؟»

عاتبته لأنه يعتبرها «متاحة» في أي وقت، إذا لم يعثر على امرأة أخرى. أخبرها مازحًا أنها تخلط بين الجنس والحب وأن حياتها كلها لايكات من طرف واحد.

ليس صحيحًا أنها تخلط بين الحب والجنس، كل ما في الأمر أنها لا تريد أن تبدو سهلة المنال. تستهويها تعقيدات الرغبة، بدون هذه التعقيدات يبدو الجنس فعلًا مملًّا، وهي مسألة لن يفهمها زيزو.

سألها عما فعلته برسالة علوي، فقالت إنها أعادتها إليه، وأرسلتها ـ حتى الآن ـ لعشرة أشخاص آخرين. اكتفى بجملة مقتضبة:

ـ «يخرب بيت شيطانك!»

t.me/qurssan

أخبرها أن عبد الرحمن لم يعد لديه حجة كي يطلق زوجته، وبعدها يستولي على تحويشة والده الـ 300 ألف جنيه ويهاجر لأستراليا عند ابن عم أبيه ويشاركه في مزرعة الغنم.

ردت بأنها من يوم أن عرفته وهو يتصور أن الـ 300 ألف جنيه ستحل له كل مشاكله في الدنيا!

انفتحت نافذة عبد الرحمن أمامها فاستأذنت من زيزو:

ـ «لحظة يا سبعي»

على عكس الكثيرين كان عبد الرحمن يضع في البروفايل صورة كاملة له نادرًا ما يغيرها. كان متوسط الطول. ورغم ميله إلى النحافة له كرش خفيف. عيناه ضيقتان قليلًا.

اعتذر لانشغاله واضطراره للذهاب لشراء اللبن قبل أن يغلق المحل.. ملت الكلام معه عن مشكلته الأزلية مع زوجته. لخصت له سريعًا حكمة الحياة بأن الإنسان لا يخون من يحبه لكنه يخون من يتزوجه، ثم حسمت الأمر الذي يتحاشاه:

ـ «طلقها.. أول طلاق صعب.. وبعدها تتعود»

هو ليس ضد فكرة الطلاق لكن ما ذنب ليلى؟ سيضطر إلى ترك الشقة والبقاء في شقة والديه. أيضًا غراميات الشات والتليفون مجرد تسلية ولا تقارن بشعوره عندما يعود إلى بيته فيجد ابنته وزوجته في انتظاره. ابتسامة ليلى بالدنيا كلها.

t.me/qurssan

ـ «طلقهـا.. وبـدل ما تهاجر تعال نتجوز مسـيار.. الاثنين والثلاثاء من كل أسبوع»

ـ «بس الشرع حدد المسيار في الخميس والجمعة!»

ـ «كلها أيام ربنا»

أضافت مازحة:

ـ «شـد حيلـك أنـت فـي اليوميـن.. وأنـا أعطيـك الأسـبوع كلـه أوكازيون»

فجـأة رن جرس أبيها فاسـتأذنت منـه. عادة لا يـرن أبوها الجرس إلا عنـد طلـب المبولـة. عـدا ذلـك لا تجـد ما تفعلـه طوال سـاعات الليل سـوى التسـلية بعقول الرجال. محبوسة بين أربعة جدران. نفس الحبسـة عاشتها شهرين في السعودية، وكان التلفزيون أنيسـها الوحيد. في أوقات كانت تحس أن جسـمها غريب عنها، وأنها وحشت نفسها، فتقف أمام مرآة الدولاب، تخلع سـوتيانها وتتحسـس جسمها. كانت تشـغل أسـطوانة طبل بلـدي عليها صورة سـهير زكـي، وتظل ترقص لنفسها بقميص النوم. ترقص وترقص أمام المرآة:

ـ «كنتِ وردة مفتحة.. الله يخرب بيتك يا شيخ فواز»!

كان مـن المحرمـات أن تغادر الشـقة، حتى عندمـا تعللت بالزهق والملل، تحجج الشـيخ فواز بأن كل طلباتها مُجابة. قالت إنها سمعت

t.me/qurssan

في التلفزيون عن حديقة حيوان في حي الملز القريب من شقتها، فسألها:

ـ «وشتبين بالحيوانات؟»

بحلقت في وجهه:

ـ «نفسي أتصور مع القرد!»

وفي نهاية الشهرين زارها الشيخ فواز فلم تبدل ملابسها كما عودته. جلست في الصالة وضمت يديها بين وركيها في أدب مبالغ فيه. جلس قبالتها وراقب صمتها وهو يتوقع أمرًا خطيرًا. جلد وركيها اللامع المشدود كان يجعله يتنهد ويضغط على أسنانه بقوة: «أستغفر الله».. ظن أن أحد أولاده العشرة تعقبه في المرة السابقة وصعد إلى الشقة بعد هبوطه وتشاجر معها.. أو.... غمغم واستغفر واستعاذ بالله ليس لمقابلتها المكفهرة، بل من هاجس أن يكون أحد أبنائه الأوغاد طمع في جسدها، وقرر أن ينافسه. خاطر بعيد جدًّا لكنه مر في ذهنه. استعاذ بالله مرة أخرى. في النهاية هو لا يفعل الحرام وليس من النوع الذي تضحك عليه فتاة صغيرة فيبيع من أجلها ما وراءه وأمامه. بحشرجة صوته الغليظة سألها:

ـ «خير؟ إيش فيك؟ كفى الله الشر!»

ـ «اعتقني لوجه الله.. وكل واحد يروح لحال سبيله»

t.me/qurssan

قالتهـا في نفـس واحد وهي تصفـق بيديها المكتنزتيـن وتنفضهما فـي وجهه. توقعت أن يعتـرض بآية من الآيات الكثيـرة التي يرددها.. كأنه كان اتخذ نفس القرار في سـره وينتظرها كي تعلنه! انتبه إلى نقش الحناء الهندي على ظهر يديها. كان النقش مثل غصن شجرة لا يعرف أين ينتهي. ظل صامتًا. أخيرًا هز رأسـه موافقًا بكل بسـاطة وحجز لها على أول طائرة.

في ميعاد السفر أرسل إليها سائقه السوداني. احتارت طول الطريق فـي تحديد سـنه فهـو لا يبدو شـابًا ولا يبدو عجـوزًا، ولا ينطق بكلمة توحد ربنا. نقلها إلى المطار بحقيبة ملابسـها. رأت شمس ربنا أخيرًا. بعـد أن تأكـد أنهـا ختمت ختـم المغادرة سـلمها عبر حاجـز زجاجي ظرفًا به عشـرة آلاف ريال، واسـتدار مبتعدًا. تاهت في ممرات المطار بأضوائها السـاطعة، وهي تجر حقيبتهـا خلفها، حتى عثرت على بوابة المغـادرة. أول مـا قعـدت فـي طائـرة مصر للطيـران فوجـئ الركاب بهـا تطلـق زغـرودة مدوية ثـم راحت تغني بصـوت عال: «يـا حبيبتي يـا مصر.. يا مصر».. فظن بعضهم أنها لم تهبط مصر منذ عشـر سـنين على الأقل! كانت لحظة تاريخية عندما توحدت مشـاعرها مع مشاعر أكثر من مائتي راكب يغنون وراءها «يا حبيبتي يا مصر».. فضاعفت من حماسـها وهتفـت: «تحيا مصر!».. دون أن يـدري أحدهم أن كل هذا الحنين والشـعور الوطني الجارف سـببه الانعتاق من حشـرجة الشيخ فواز وضراطه.

t.me/qurssan

مرة أخرى زارها أخواها الأكبر منها سنًّا لتزويجها. لحية كل واحد منهما تنفع «مكنسة»، حسب قولها المأثور. مسدا لحيتيهما بالأصابع وعرضا عليها زوجها الحالي.. اسمه رشدي من الشرقية، لديه زوجة وأربعة صبيان وسيزورها هنا، في شقة أبيها، يومين في الأسبوع.

تنهدت ونفثت كل الهواء المحبوس في صدرها وقالت لنفسها:

ـ «يا ربي! مكتوب علي المسيار والتيك آواي!»

وبعد الثورة، في أواخر فبراير ظهر مرة أخرى الشيخ فواز الأب الروحي لأخويها في الدعوة السلفية. فهمت من أخيها الكبير أنه جاء خصيصًا لمساندة الأخوة في الانتخابات وتدارس جوانبها الشرعية. تبرع للدعوة بأكثر من ربع مليون ريال، إضافة إلى شراء مقر لحزب «الكتاب والسُّنة» في العجمي. ويبدو أنه تذكر أنها كانت زوجته، فعرض على أخويها أن يعيدها إلى عصمته وتعيش معه في الفيلا التي يملكها هناك. اعترضت، لأنها أصبحت على ذمة رجل آخر، ولا يجوز في الشرع أنها تطلق منه كي تتزوج غيره. أفتى أخوها الأكبر بجواز الطلاق إذا استحالت العشرة. ردت بقرف: «وهي فين العشرة أصلًا؟».

زواج يومين ـ في رأيها ـ حتى لو كان مثل شربة الخروع أرحم من زوج يقرفها ويحشرج طول الأسبوع. أفتى أخوها أن الزواج عند المسلمين الأوائل كان أسهل شيء، وأي واحد كان يتزوج خمس وست مرات، لكن حكاية الزواج مرة واحدة طول العمر مأخوذة أصلًا من معتقدات دخيلة على الإسلام.

t.me/qurssan

أخبرتهما أن زوجها رشدي لن يطلقها حتى لو دفع له الشيخ فواز مال قارون. ابتسم أخواها لفداحة الكذبة! ولم تمر سوى عشرة أيام حتى أبلغها أخوها الأصغر عبر الهاتف بأن الشيخ فواز عثر على بنت فلاحة لم يسبق لها الزواج، ورضيت بالعيش معه في فيلا العجمي.

الحسنة الوحيدة التي عادت بها من زواج شهرين في السعودية، هي ارتداء النقاب. وقد امتدح أخواها تقواها وإصرارها على عدم خلعه بعد عودتها ودعوا لها بزيادة الإيمان.

كان عبد الرحمن وزيزو يتناوبان على زيارتها في شقة أبيها في الأيام التي لا يأتي فيها رشدي، أما هي فزارت زيزو في شقته أكثر من مرة. كانت تعطي الدواء في موعده لأبيها وتترك له المبولة قرب يده على السرير. هو تقريبًا لم يعد يأكل أي شيء.

كانت تتأنق على سنجة عشرة، وبعدها تغطي كل شيء تحت العباءة والنقاب، وتركب التوكتوك إلى شقة زيزو. رغم بدانتها الخفيفة كانت مرحة، وسريعة الحركة. جسدها كله يضحك، كما قال لها، وهو يخرج من محفظته ما يكفي من النقود تعبيرًا عن امتنانه لها. أحيانًا كانت تأخذ الفلوس وأحيانًا أخرى كانت تعتبر اللقاء هدية منها.

بعد عودتها كانت تستأنف المهام الروتينية لأبيها: الدواء والأكل المسلوق والمبولة وتحريك جسده الضامر حتى لا يصاب بالقروح. كانت تكتشف أنه لم يتبول سوى قطرات قاتمة اللون. لا تكاد تُرى في قعر المبولة.

t.me/qurssan

16

يوم يراجع المرء التايم لاين!

11:50 AM

الوحـدة وسـاعات الليل. هي في واد وزوجها فـي واد آخر. نفثت هـدى غضبها المبالغ فيه على شـيء تافه. شـيء كان يمكـن أن تمر به ولا تنتبـه إلـى وجوده. كتبت بانفعـال: «من لا يعجبـه حائطي يضرب رأسه في حائطه!».

كانـت متوتـرة. غاضبة مـن زوجها، ومـن علوي، واتصـال المرأة المجهولة، ثم فوق هذا كله يأتي شـخص بالكاد تعرف اسـمه، ويعطي لنفسـه حق الاعتراض لأنها تغلق الوول الخاص بها! بأي حق يعاتبها شـخص لا تعرفـه على غلـق الحائـط الخاص بهـا؟! حائطهـا ملكها وحدها، وليس ساحة لعرض جنون وهذيان الآخرين.

كانت مسـمرة فـي مكانها علـى طاولة السـفرة في الصالة. الشـقة ليس فيها غرفة مكتب.. فقط غرفة صالون لاستقبال ضيوف لا يأتون، وغرفـة صغيـرة تنام فيها ليلى مـع الدببة وعرائس لولـو كاتي الوردية،

t.me/qurssan

ثم غرفة النوم التي تستلقي فيها هدى وحدها بالساعات وهي تبحلق في السقف وتتابع الأشباح التي ترسمها ظلال الأباجورة كلما حركت أصابعها المفرودة حولها.

لا تعرف أين اختفت الصفحة الرئيسية؟! هل حدث الخلل التقني مرة أخرى؟ ماذا يجري في هذه الليلة؟ كلما أرادت الذهاب إلى الصفحة الرئيسية تجد نفسها في صفحتها الخاصة فقط. كلما ضغطت على Home وجدت نفسها في Huda.

هل تكون البيانات الخاصة قد حذفت فعلًا، كما يقولون؟ ضغطت على Activity log الأيقونة السحرية التي تتيح لها أن ترى كل حرف كتبته، كل لايك، وكل لينك رفعته.. نسخة كاملة من أرشيف وجودها، مؤرخة بالثواني، وفقًا لعد تنازلي باتجاه الماضي.. لاحظت أن صورة البروفايل هنا تنكمش قليلًا عن حجمها المعتاد في الوول العام.

التايم لاين ينظم وجودها الافتراضي، ولا تريده مستباحًا من أحد، مثلما تركت وجودها الحقيقي مستباحًا من الآخرين! شريط الزمن الذي يحمل اهتماماتها وتقلبات مزاجها. كل ما دونته كان مرصودًا على حائطها، تستطيع أن تستعيده. تضيف وتحذف منه ما تشاء. راحت تضغط على مواد قديمة.. تقرأ وتستعيد الذكريات.

الفوضى التي ضربت الموقع تغريها بحذف التايم لاين كله، إعادته إلى لحظة البياض الأولى، كأنها لم تكن هنا يومًا ما. بابتسامة ساخرة رأت كيف نشرت بحماس وسعادة كل روابط المواقع التي غطت

t.me/qurssan

افتتاح معرض د.علوي «الهروب من الزمن». احتفاؤها المبالغ به كان طرف الخيط الذي دفع زوجها للشك في وجود علاقة بينها وبين علوي.

كانت معجبة بفكرة المعرض الذي يتناول لحظات بسيطة تمر بنا دون أن ننتبه إليها.. لحظات نكررها كل يوم، تمثلنا، لكنها لا تشغل حيزًا في اهتمامنا.. يومها كانت متأنقة في فستان سهرة، وكانت كتفها اليمنى عارية باستدارتها اللطيفة. هكذا وصفها علوي في مكالمة حميمة بعد انتهاء حفل الافتتاح.. وسائل الإعلام ظنت أنها زوجة الفنان، والفلاشات استلطفت وجهها شبه المستدير. وجه أبيض لا يبدو أنه عانى يومًا الجوع والحرمان، ينتهي بذقن مدببة بها نتوء صغير.. عندما ظهرت زوجته د.ماجدة بمكياجها الأخضر والأزرق والأحمر وحجابها وملابسها الزاهية الريفية، وارتباكها من الزحام والأضواء.. تفجرت في المكان طاقة سلبية. نظرات ونميمة عن الفنانين المتحررين الذين يتزوجون على طريقة «سي السيد»! تحاشت هدى الظهور إلى جانبه في الصور. حاولت أن تكون مرحة مع زوجته.. يومها تعرفت لأول مرة على ديفيد صديق منال. نظرت في عينيه، ثم ابتسمت وقالت متوددة:

ـ «أنت برج الثور.. اعترف!»

حذفت كل روابط المعرض كأنها تحذف علوي نفسه من حياتها وليس من صفحتها فقط.

t.me/qurssan

فاجأتها صورة الرجل الذي يفترض أنه مازال زوجها في عيد ميلاد ليلي.. كان يجلس متوحدًا مع كوب عصير أمامه.. الرجل الذي ضحت من أجله ومع ذلك يستكثر عليها أن يتحدث معها خمس دقائق، يبخل عليها بوردة واحدة تعيد السحر والنظام إلى حياتها المبعثرة.

توقعت أن يتصل بها أو على الأقل يرسل إليها رسالة يطلب فيها أن يفتحا صفحة جديدة، كعادته بعد الوصول إلى طريق مسدود.

ساعات بطيئة تفصلها بين دنيا قديمة يجب أن تتخلص منها ودنيا جديدة عليها أن تدخلها بنفسها دون الاعتماد على رجل يخذلها. هي وليلى فقط. عبد الرحمن يمكن أن يقتلها إذا أخذت منه الشقة بحكم حضانة البنت. لماذا لا تعيش مع خالها مؤقتًا؟ ستكون مرتاحة أكثر من العيش مع أمها في شقتهم القديمة.

الذكريات الحلوة التي عاشتها في شقة أبيها ستؤلمها في كل لحظة.. سذاجة كبرى أن تظل تعطي فرصة لعلاقة ميتة! مينو معها حق: أنت يا هدهد بنيت حياتك كلها على رجال أضعف من أن يساعدوك.

لا تدري كيف يحقق من يخططون ما خططوا له! حتى الرجل الذي أقنعها عقلها بأنه مناسب وأنجبت منه أجمل هدية في وجودها، يبدو الآن غريبًا عنها بدرجة قاسية، لا يُخرج من أعماق روحها إلا كل ما هو سيئ. تكرهه عندما يهتز كرشه الصغير وهو يضحك.. كراهية صامتة تكبر مع الأيام.

t.me/qurssan

الحياة كلها مجموعة مصادفات لا تسير وفق ما نخططه ولا حتى ما نتوقعه. نجري فيها مثل خيل بلا قواعد للسباق. عاشت حياة مرتاحة، تتنقل في سيارة أبيها أو أحد إخوتها الكبار.. الآن تركب الميكروباص لتوفير أجرة التاكسي! كانت تدرب نفسها سرًّا كي تنطق أسماء المحطات بنفس الجسارة والاندفاع مثل الآخرين.. فكان صوتها يخذلها ويخرج مخمليًا خجولًا:

ـ «الطوابق يا أُسطى.. من فضلك»

يتولى زبون آخر إعادة ما نطقته بصوت مرتعش، بالطريقة التي اعتادها الجميع:

ـ «الطوابق معاك يا اسطى».

كانوا يبتسمون لأنها تصر أن تنطق همزة الألف مضمومة بوضوح، وتقول بتهذب: «من فضلك» كأنها شادية في أفلام الأبيض والأسود.

قادها التايم لاين إلى الصورة الوحيدة لأبيها وهو يرتدي الكاب والبدلة العسكرية.. لا تنسى يوم أن عادت من حفل رباعي التشيللو في دار الأوبرا فوجدت كل أخوتها في البيت على غير العادة. دخلت غرفة أبيها بخطوات ثقيلة كأنها تجر أكياس رمل في رجليها. قبلته في جبينه البارد ثم ذهبت إلى غرفتها ولم تخرج منها. في قلبها كانت وردة تغني:

«مين دا اللي ياخدني منك؟

t.me/qurssan

ولاّ يبعدني عنك!»

كل قبلاته الكثيرة التي طبعها على جبينها وشعرها وخدها ويدها، في كل مراحل عمرها، ردتها بقبلة واحدة فقط. قبلة أخيرة وهي تداري دمعتها عن نظرات إخوتها. ذكرى غائمة لا تتذكر تفاصليها. مسحت الدمعة الخفيفة وتنهدت. توقعت أن تنهار ويغمى عليها من البكاء لكنها ظلت صامتة لا تقوى على أدنى حركة. غاب الرجل الوحيد الذي لم يخذلها في أي يوم من الأيام! عندما تمردت على رغبة إخوتها في دخول كلية الهندسة وقف معها وقدم أوراقها بنفسه إلى كلية الفنون الجميلة في الزمالك. لأول مرة في حياتها رأته يقف مستندًا على جدار أبيض وراء شجرة فيكس وهو يلهث من الحر وعلى وجهه تنعكس ظلال سيئة.

راودتها لفترة فكرة دخول معهد السينما. لكن هذا كان يعني الطرد من جنة الأهل. أحبت فكرة أن تفتح محل زهور فوجدت نفسها مديرة أعمال فنان تشكيلي.. وأمًا.. والآن زوجة على وشك الطلاق!

الماضي في الواقع ليس قابلًا للتعديل مثل الماضي في العالم الافتراضي الذي يتيح لنا حذف ما نشاء. شريطنا الزمني مثقوب وحافل بالفجوات والظلال.. لكن شريطنا في الفيسبوك محروم من تلك النعمة، فها هو أمامها على الدوام يراكم أشياء لم تعد تعرف لماذا كانت تهتم بها.. ولا لماذا كتبت بحماس كل هذه التفاهات؟! ذكريات ولحظات تكر أمام عينيها إلى ما لا نهاية.

t.me/qurssan

أليس جميلًا أن يكون الإنسان بلا ذاكرة.. بلا تايم لاين؟!

إلى ما لا نهاية كان التايم لاين يمضي بها إلى صور وكلمات وأحاسيس. يقلب عليها المواجع. كلما تابعت أيقونات الماضي تجمعت وخزات خفيفة إلى أن خلقت في أعماقها شعورًا هائلًا بالألم.

فتحت ألبوم «family» في صفحتها. تصفحت في لا مبالاة، قبل أن تبدأ في حذف الصور. معظمها التقطت في عيد ميلاد ليلى الخامس. كانت بارعة في الحدس وقراءة الوجوه. تعرف أبراج الآخرين بمجرد النظر في عيونهم. بكل أسف لم تعرف أكاذيبه التي يداريها وراء نظراته المراوغة! كذب عليها في أشياء كثيرة، منها أن والده وكيل أول وزارة التعليم وهو ليس أكثر من مدير عام على المعاش. عندما أخبرها على الهاتف عن طوله، اكتشفت لاحقًا أنه أقصر منها. بسذاجة طفلة وافقت على الزواج رغم معارضة إخوتها الذكور من أم أخرى، باعت لهم إرثها من أجله، ثم باعت بعد ولادة ليلى ما تبقى من شبكتها. لم يكن الإنسان الذي تستحقه، لكنها لا تريد أن تفشل، لا تريد أن تعود إلى بيت العائلة بلقب مطلقة لتعيش تحت رحمة إخوتها. ما ذنب ليلى وهي الآن في السابعة من عمرها؟! بحثت عن أكثر من عمل، كي تعتمد على نفسها وتخرجه من حياتها إلى الأبد، مرة في شركة سياحة ومرة مديرة صالة تعرض لوحات وفضيات. في كل مرة كانت تضطر ـ تحت وطأة مساومات رخيصة ـ أن تعود إلى شقتها، تأخذ ليلى في حضنها وتستلقي في الفراش وهي تشعر أن العالم أكثر ضيقًا من خرم إبرة.

t.me/qurssan

15

بروفايل الحاجة الطاهرة

11:40 PM

حالة الفوضى التي ضربت الموقع قبل ثلاث ساعات فتحت شهية زيزو لجمع أكبر قدر من المعلومات، وهو يجلس مسترخيًا وراء مكتبه المليء بأجهزة الكمبيوتر وعلب السيديهات والأسلاك الموصولة، في شقة من غرفتين تطل على ثاني ناصية من شارع ناهيا.

كانت تتناثر حوله هنا وهناك بقايا الوجبات الجاهزة وسراويله الداخلية الملونة وجواربه وأكياس الطعام الورقية الفارغة. فرد أصابع يديه الاثنتين فوق أحرف الكيبورد، وراح يقفز برشاقة من صفحة إلى أخرى. بنقرات بسيطة، وعين فضولية، كان يتلصص على حياة الآخرين. وإن كان جسده الناحل لا يوحي بطاقة الشر الكامنة فيه. يعرف لماذا يحرص فلان على اللايكات لفلانة، ومن يتجاهل من ويعطيه كتفًا افتراضية!

ـ «شكرًا يا عم مارك»!

t.me/qurssan

قالها لنفسه، وهو لا يصدق حجم انهيار الخصوصية. أغلب المستخدمين مازالوا يواصلون دردشاتهم بالشكل المعتاد، دون أن ينتبهوا لحجم الكارثة! ربما هي الثقة المفرطة في تطمينات الشركة بأنهم في أمان، وأن كل شيء تحت السيطرة!

كل الأسرار كانت معروضة أمامه، دردشات ورسائل كافية لتدمير بيوت! ثمة رائحة مغوية، كانت تجذب أنفه وتقوده إلى صفحات بعينها. رائحة مستترة وراء تعليق.. غمزة.. لسان أحمر مائل يطل من رأس فسفوري. لقد اعتاد أن يجلس على مقهى «سكر زيادة» في تلك المنطقة الفاصلة بين عالمين.. للاستمتاع بالمقارنة بين أرداف النساء العائدات إلى بولاق وأرداف النساء المتأنقات المتجهات إلى حي المهندسين. والآن كان يروق له أن يجلس على ناصية صفحته، وبضغطة بسيطة يستمتع بالاستعراضات نفسها.

الناس كلها تتصرف مثله حتى لو ادعت الفضيلة. فماذا يفعل الآخرون طول الوقت غير مراقبة بعضهم البعض؟ الفارق الوحيد في المهارة، فملك السبام يصل إلى ما لا يستطيع غيره الوصول إليه. مجرد موهبة خاصة خدمها الحظ الليلة. مثلما يراقب أحدهم امرأة جميلة وهي تعبر الطريق، يفعل الشيء نفسه، لكنه فوق ذلك اكتشف في نفسه موهبة كشف أسرار جسدها من تحت الملابس.

كلما انتقل من صفحة إلى أخرى، كانت تظهر على يمينه بروفايلات شبه إباحية. كل اسم يتنافس في اكتناز أعلى شحنة إثارة: موناليزا

t.me/qurssan

اللذيذة، سـونيا الزانية، اسـأل وجرب مع فاتنة الخليج. أسماء وصور تدعـوه إلـى المغامرة. بنات ونسـاء لا تظهر منهن سـوى كتل عارية.. صـدور.. أفخـاذ.. سـيقان عارية تتنزه على شـاطئ البحـر! وبعضهن يتخفيـن وراء أقنعـة الأوركيـد أو.. نجمـة مضيئـة فـي سـماء بعيـدة. لا تـروق لـه تلك النوعية من النسـاء، فلو كانت تثق حقًّا في أي شـيء لديهـا لـن تتخفـى وراء أقنعة بلهـاء. ليس معنـى ذلـك أن اللواتي كن يتخفيـن وراء عري آنجيل دارك، وياسـمين لافيت، أفضل حالًا، لكن صورهـن كانت تعطيه وعـدًا بمغامرة مجنونة، كمـا حدث مع صوفي هوارد التي من المفترض أن يلتقيها في الواقع، لأول مرة، في التاسـعة صباحًا.

كان قد التقطها قبل ثلاثة أشهر من صفحة «المتعة الحرام للجادين فقط»، اسـتوقفه اسـم بروفايلهـا «الحاجـة الطاهرة» حتـى كاد أن يقع أسـفل المكتـب من الضحـك لأن كل صورها لا علاقة لهـا لا بالحج ولا الطهـارة! درس بتمعـن تضاريسـها فـي عشـر صور تُظهر جسـدًا لا يشـبه بالطبع أجساد بطلات أفلام البورنو، وهنا مكمن إثارته. جسد حقيقـي جدًّا، بـكل عيوبه، بخطـوط الزمـن وثنياته اللدنـة. ضبط يده لا شـعوريًّا تعبـث داخـل الشـورت وهـو يعـاود تأمـل قبـة «الحاجـة الطاهـرة». قبة عفيـة وعالية فلا مانع من عبث خفيف على شـرفها! ما الذي يمنع أن تكون نظراته الشـبقية اصطدمت لحظتها بنظرات شبقية لشـخص آخر كان يشـاركه نفس الإعجـاب باندفاع مؤخـرة «الحاجة الطاهـرة» إلى أعلـى؟ لم يتحمس كثيرًا لعرضها بممارسـة «السـكس

t.me/qurssan

فون» مقابل كروت شحن الموبايل. كانت تتباهى بأنها خريجة «كلية السكس» وتعرّف نفسها بأنها «قحبة....» ثم تضيف بكل فخر اسم بلدها.

ظل يتتبعها لأسابيع حتى بعدما غيرت صورة البروفايل من مؤخرة عريضة إلى ساقين عاريتين بجوارهما يقف وادعًا كلب لولو بفرو كثيف. كان الكلب الصغير مربوطًا بطوق جلدي في رقبته يمتد منه حبل، تمسك به يد لا وجود لها.

كانت تخفي وجهها أو تركته في الجزء الخفي من الصورة. إضاءة دافئة تلتف حول ساقيها وتخترق مسام جوربها الأسود المشجر، الذي ينتهي أعلى فخذيها بفيونكة بيضاء. مثلث منفرج على الإغواء تنتهي قاعدته بفردتي صندل بسيور جلدية حمراء.

أحس صندلها قاتلًا له بكعبه العالي ونعومته ولمعانه. بروفايلها آخر الليل كان له تأثير غامض ومغو. فلو جمع رسائل وتعليقات الرجال على حائطها بأن يكونوا بدل كلبها «اللولو»، لاحتاج إلى مجلدات. كانت لا تفعل شيئًا، ما بين الحادية عشرة والثانية عشرة مساء، غير الموافقة على طلبات إضافة تأتيها من عشرات الرجال. أقصى ما كانت تفعله أن تكتفي بـ«لايك» على كل كومنت يتغزل في ساقيها.

ظل يتابعها بصبر قناص وهي تتحول من «الحاجة الطاهرة» إلى «صاحبة الكلب لولو».. أخيرًا غيرت اسمها إلى «صوفي هوارد»، وبعد «المؤخرة» و«الساقين وكلب اللولو» وضعت صورة لصوفي

t.me/qurssan

هـوارد بإطباق شـفتيها وتكويرة النهديـن الكبيرين لكنهـا أبقت عينيها خارج الكادر.

كان خبيرًا بما يكفي ليلتقط من بين كل الصور العارية التي تضيفها، صور جسـدها الحقيقي. مؤخرتها الحقيقية التي سـربتها بين عشرات المؤخـرات المزيفات. وقبل أن توافق علـى اللقاء به في الواقع دارت بينهما حوارات كثيرة عن الأحجام ومقاسـات السوتيانات والسراويل الداخلية، كي تتأكد أنه رجل ويتأكد أنها امرأة.

غادر إلى صفحة مهلبية. سـخر منها، في سـره، وهو يراها مازالت تتمرغ على الوول بجسـدها وشـبقها ونكاتها. حتـى عندما ترغب في التبول كانت تسـتأذن ممن تفترض أنهم سـاهرون مثلها.

كان الرجال يلبدون في انتظارها.. مخلصين، إلى درجة مضحكة، مثل كلب يتشمم شيئًا أُلقي أمامه فجأة، قبل أن يهز ذيله باللايكات.

ثم دفعه الفضول لمعرفة رد فعل منال على رسـالته، فاكتشـف أنها لـم تقرأهـا بعـد. أيضًا هدى لـم تكتب أي شـيء منذ ثماني سـاعات. تقريبًا هي تتعامل مع الفيسـبوك كأنه فنجان قهوة في الصباح، ثم تنساه. ولا تكتب أكثر من بوستين في اليوم.

ظل هكذا.. منغمسًا في اسـتقصاء تفاصيل وأسرار كل بروفايلات الحريـم التي تلـوح أمام عينيه. مثل قصاص الأثـر الذي يتتبع حركات الأقدام الناعمة هنا وهناك.

t.me/qurssan

كان وجهه صامتًا ونحيفًا بشكل لافت، يزيده الشارب الرفيع غموضًا، وعلى أنفه انحدرت نظارة من دون إطار. أراح ظهره بالكرسي إلى الخلف، بينما كانت تطل عليه من أعلى الجدار القديسة مريم. من زاوية معينة تبدو وكأنها تتلصص عليه. ومن زاوية أخرى كأنها تباركه بنظرتها الحانية.

t.me/qurssan

14

بنت البحر تطارد غاندي

11:35 PM

«مساء الحب.. يا علي»

ارتعشت يد علي نجيب وهو يرشف من كوب القهوة. تربكه مطاردة «بنت البحر»، كأنه المسؤول عن خطيئة وجودها!

ماذا تريد منه الآن؟! بطبعه كان يهرب من الضوء والزحام والنساء. لا يريد أن يستبقي أثرًا يدل عليه، حتى تعليقاته على صفحات الآخرين، كان يمر بعد وقت ويحذفها خلسة. فقط يستبقي صفحته تلك مثل ثقب سحري، يرى من خلاله ما يحدث في العالم، بإحساس من يقول: «مملكتي ليست من هذا العالم»!

كان يتواصل مع عدد محدود من الأصدقاء. ولا يذهب إلى وسط البلد إلا مرة كل جمعة، يسمع نميمة المثقفين على زهرة البستان، ولا يعلق بخير أو شر. ابتسامته الخافتة لا تعني أي شيء سوى أنه غير متحمس للكلام. تعود هو ومجموعة قليلة ممن تبقوا من أصدقائه،

t.me/qurssan

أن يتبادلوا اتصالًا أسبوعيًا، ليتأكد كل منهم أن الآخر لم يسبقهم إلى الموت.

معظم أصدقائه توزعوا بالعدل بين الهجرة والمرض والموت والعمل في الخليج، وهو الآن يمارس الحياة كشبح غير مرئي، فلماذا نطارده «بنت البحر» مثل غلطة التصقت بالغراء؟! أمر لا يُحتمل أن نرتبط بشخص ما ثم تكتشف أنه يبني حياته كلها على سلسلة أكاذيب.. خيالات جامحة، كما كانت تدعي.

لا ينكر أنه تعاطف معها في البداية بعدما أخبرته أنها معجبة بديوانه الوحيد «أرجل خشبية في متاهة الذئب». أسهل طريقة لإخضاع رجل التغزل في أشيائه! كانت قد حصلت على نسخة مصورة من ديوانه من صديق قديم له عضو في الحزب الشيوعي، وخلال دردشة استمرت من يوليو إلى سبتمبر ناقشت معه كل قصيدة في ديوانه، قبل أن تبدأ في إرسال قصائدها الجامحة التي تمجد استدارات المؤخرة وغابة السيقان المتوحشة ولهيب العتمة، وعندما يصبح الرجال قطيعًا من الرخويات العالقة بجسد أنثى لا تُبالي. مع أنه شيوعي قديم اكتشف في أعماقه شيخًا بلحية وعمة، ووجد نفسه يناقشها بهدوء لتخفيف إيروتيكية النصوص.

أواخر أكتوبر أخبرته أنها ستهبط مصر لطباعة ديوانها، ولأنها لا تعرف أحدًا - حسب كلامها - وجد من المروءة أن يعرض عليها استضافتها في شقته، فهي في مقام ابنته هند.

t.me/qurssan

علي نجيب لم يكن المستشار الشعري لبنت البحر وحدها، بل المستشار الشعري لنصف الشاعرات العربيات على الفيسبوك، لكنها تمتاز عنهن بأنها أول شاعرة افتراضية اجتاحت شقته بكامل مشمشها، كما يقول محمود درويش.

يومها انتظرها حوالي ساعة في محطة مترو الجيزة، وحتى هذه اللحظة كان يشك أنها شخصية وهمية والأمر كله مجرد مقلب سخيف. ولم يكن يصدق كلام أصدقائه عن الشاعرات الافتراضيات اللواتي التقين بهم في الواقع، في معارض الكتب والمهرجانات وفنادق دبي والدار البيضاء. يتفهم بالطبع إلحاح مثل هذه المغامرات وادعاء الفحولة ولا يرغب في تصديقها ولا تكذيبها.

رآها قادمة من آخر المحطة وهي تجر حقيبة بيدها اليسرى. هي التي تعرفت عليه أولًا:

ـ «علي!»

هكذا بدون ألقاب ولا رسميات، ولا حتى اعتبار لفرق السن! شعر أن إيقاع اسمه على لسانها غريب عنه. كانت تتصرف بألفة ودلال. ترتدي ملابس أنيقة مثل أي فتاة قاهرية. أكثر ما لفت نظره بنطلون الجينز البرمودا الأزرق الذي يظهر سمانة رجليها، بكل البياض والاستدارة. من أعلى يضغط بكل قوة على مؤخرتها العريضة. تعوض ميلها إلى القصر بإظهار كنوزها! هكذا رآها وهي تسبقه بخطوة في اتجاه التوكتوك بعدما هبطا سلالم المحطة. كانت تمشي بخفة كأنها

t.me/qurssan

تعـرف الطريق أفضل منه. ركب إلـى جوارها صامتًا.. ووضع حقيبتها البنية متوسطة الحجم أسفل رجليه كي لا تضايقها في جلستها.

كان سائق التوكتوك مراهقًا حليق الرأس على الزيرو، ما عدا خصلة صغيرة في مقدمة رأسه. لمحه يغمز لها عبر المرآة العلوية، بعدما رفع صوت الكاسيت أعلى ما يستطيع على صوت شفيقة: «غلطة مين.. أنا ولا أنت؟ غلطة مين؟»

تحرج من حضور جسدها الدافئ وهي تلامسه بكل بساطة. أعطى أمرًا صارمًا لجسـده كي يتجاوز هـذا الهاجس ولا يعطيه أدنى اهتمام. أصر أن يحمل الحقيبة عنها أثناء الصعود إلى الشـقة. ليلتها جلسـا في البلكونـة واختلفا فـي عنوان ديوانهـا: «صرخات أنثى اليعسـوب» أو «اعترافات ورقة التوت»!

فـي ثانـي ليلة، بـدت رقيقـة وحالمة فـي تواصلها وهما يجلسـان بالقـرب مـن أصص الورد ويقـرآن بالتناوب مقاطع من شـعر درويش وإيلـوار. فجأة شـعر بتغير قاتـم في وجهها ونبرة كلامهـا. رغم أن كل ما فعلته أنها طلبت منه ـ ببسـاطة ـ استكمال القراءة على السـرير، فقال بحسـم وقد فز عِرقه الشيوعي القديم إن نيرودا أكثر قدسية من أن يُقرأ في غرف النوم.

لطفـت الجـو وداعبته بأنهـا حتى قبـل أن تلتقي به مباشـرة، تعتبره مثلهـا الأعلى فـي قصيدة النثـر. تواصل إغـواءه، بطريقـة أخرى، كي يكون مثلها الأعلى في الفراش أيضًا!

t.me/qurssan

ـ «صدقني لو قابلتك في شبابك كنت افترستك فورًا»

انكمش أكثر في جسده وهو يهرب من نظراتها المرحة. ضحكها الرنان لا يتوقف. حدثها بعبارات تائهة عن سمو التواصل الروحي، رغم تفاوت السن واختلاف التجربة. اكتفت بضحكة فاحشة.

الليل والشعر وموسيقى وفتاة مرحة ليس ملتزمًا تجاهها بأي شيء.

لا يعترف لنفسه بأنه يعاني من إفراط عاطفي تجاه الغرباء، فقد كان يلتقي شخصًا لا يعرفه وبعد عشر دقائق يودعه وهو يحضنه ويقبله كأنه يودع أعز أصدقائه.. لولا ذلك لما تجرأ واستضاف فتاة شابة بالكاد يعرفها كي تبيت معه. ماذا لو كانت ارتكبت مصيبة وهناك من يسعى لتصفية حسابه معها؟!

راحت تلتقط بعض الصور للذكرى بكاميرا الموبايل. لا ينسى عري ذراعيها وكيف فاجأته بوضع رأسها أسفل ذقنه لزوم صورة «سيلفي» تجمعهما معًا.. كان حفيف خدها الناعم على صدره مؤلمًا. بالتأكيد سمعت ضربات قلبه! كأنها تصر أن تقتله ولو بقبلة خفيفة على لحيته التي اكتمل بياضها.

استأذنها لدخول الحمام. اندفاع الماء البارد على جسده كان أفضل وسيلة لتهدئة روحه. أغلق باب الحمام من الداخل لشكه أنها قد تتهور وتدخل عليه. تربصت لحظة خروجه وصورته عاريًا وهو

t.me/qurssan

يلف البشكير حول وسطه، وقطرات الماء مثل حبيبات على ذراعيه النحيلتين بعروقهما البارزة. كانت تريه الصورة وهي لا تتوقف عن الضحك. بدا نحيلًا أكثر مما يتصور، فعلق مازحًا: «جسد غاندي!» ثم طلب حذف الصورة من موبايلها. ليس فقط بسبب نحوله، لكن أسنانه كانت تظهر بشكل بارز مثل أسنان حمار وهو يبتسم، وإن لم يصرح لها بذلك.

توقع أنها ستقضي أسبوعًا إلى أن تنتهي من طباعة ديوانها ثم تعود من حيث أتت. لم يعد يتذكر اسم قريتها التي ذكرتها مرة واحدة فقط. عندما حدثها عن قلق أسرتها، قالت إنها هربت من الأسرة وكلابها. أكدت كلامها بحركة ماجنة بإصبعها الوسطى. حركة كان من الممكن أن يبتسم لها في موقف آخر لكنها ضاعفت وجومه وقلقه. أعلنت بفخر أنها جاءت إلى هنا لاحتلال القاهرة!

جاءت لاحتلال القاهرة وبدأت بشقته! آخر ما توقعه أن تتحدث عن أسرتها هكذا! خلال أسبوعين قضتهما برفقته، اعتادت أن تجلس في البلكونة لساعات. شاردة لا تتحدث مع أحد. تختفي يومين ثم تعود وتزعم أن أحد الناشرين عزمها على زيارة مكتبة الإسكندرية. حاول أن يبقى متفهمًا لا يفرض وصاية عليها ويسألها أين ذهبت؟ ولماذا تأخرت؟ إلى أن رآها صباح الجمعة ترتدي بيجامة صيفية مقلمة وتشمرها بطريقة مضحكة. كانت تتعامل باعتبارها سيدة البيت فتبدل أماكن الأشياء، وكثيرًا ما كانت تسير في الشقة حافية القدمين

t.me/qurssan

بشورت جينز يضغط على امتلاء وركيها، وتي شيرت بلا أكمام. قامت بحملة تنظيف غير مسبوقة، كأنها تمسح أي أثر لها قبل أن تختفي.

إلى أن اختفت، لم تتوقف عن استفزازه واستعراض أنوثتها المتفجرة في بنطلونات الفيزون. وهي تجلس أمامه في البلكونة وتمد ساقيها فوق بعضهما على الطاولة الصغيرة، وتدخن من سجائره. كانت تصر على اختباره في آخر معركة يفكر رجل في سنه في خوضها! مؤكد أنها مدسوسة عليه! على عكس ما يتصوره عن الريفيات، كانت لا تتوقف عن إلقاء النكات، وأحيانًا تبكي لأسباب تافهة. أمرها غريب؛ إذا ضحكت ضحكة رنانة كانت تغمض عينيها.. وإذا بكت تتركهما مفتوحتين فيرى بلل الدموع في عينيها! كان يستطيع أن يحس برجرجة كتل جسدها وهي تضحك، ويرى تلك العروق الزرقاء الدقيقة بامتداد ربلة ساقها وهي تقف في البلكونة وتعطيه ظهرها أثناء نشر ملابسها المغسولة.

ليلة السبت، آخر ليلة قضتها في شقته، رآها وهو ذاهب إلى الممر باتجاه الحمام. كان يعاني منذ فترة، رغبة في التبول كل ساعتين. كان باب غرفتها مواربًا فلمحها مسترخية على السرير، تغطي وجهها بكتاب «اللاطمأنينة» لبيسوا وقد تركت ساقيها العاريتين منفرجتين خارج حافة السرير. ارتبك كأن ثعبانًا عضه في خصيتيه. فر عائدًا إلى غرفته رغم شعوره بالحرقان.

«اعترف.. لستَ وحدك من يطارد أنثى اليعسوب؟!»

t.me/qurssan

تنهد بعمق وهو يقرأ رسالتها الثالثة أو الرابعة.. كل رسالة ترسلها لا تزيد عن سطر. مثل وخزة دبوس. مَن يطارد مَن؟! ماذا تريد بهذه الرسائل المريبة؟! هل تريد أن يدعوها مرة أخرى للإقامة في شقته؟ العلاقة بينهما انقطعت منذ سبعة أشهر، فليس هناك أي مبرر للدردشة معها. الفتاة التي جاءت من المجهول لاحتلال القاهرة كما تدعي، أصبحت أشهر من نار على علم، بفضل الديوان الذي راجعه معها حرفًا حرفًا، ومع ذلك عندما أقامت حفل توقيع في وسط البلد دعت إليه كل رجالها إلا هو!

دفعه الفضول لرؤية صفحتها فصدمه «البوست» الذي كتبته للتو: «يراقبون ظل حلمتي وراء أي بوست أكتبه».

أشعل سيجارة ورشف آخر ما تبقى من فنجان القهوة. كان التلفزيون مفتوحًا في الصالة - كالمعتاد - بما يسمح له برؤية ما يدور على الشاشة أثناء جلوسه في البلكونة، وإن كان يُبقي الصوت صامتًا. الصوت في رأيه أقوى عملية تزوير في تاريخ الصورة.

لا يدري لماذا تغيظه بأسئلتها وفضولها ومطاردتها؟ شتمها في سره شتيمة بذيئة، وإن كان لا يجرؤ أن يرسل إليها هذه الشتيمة في رسالة تنهي الأمر كله. نهض وصنع لنفسه كوبًا آخر من القهوة. عندما عاد راقب الدائرة أمام اسمها. مازالت خضراء ومضيئة مثل لعنة لا يستطيع الهروب منها.

t.me/qurssan

13

الاعترافات الخمسة وعمولة نصف دولار

11:30 PM

إذا كان هـذا حقًّـا يـوم القيامـة الافتراضـي فمـا الـذي ترغـب في الاعتـراف به على الملأ؟ هذا هو تحدي "الاعترافات الخمسـة" الذي شاركت فيه منال وكتبت:

"سيدي زوكربرج..

قبل أن ينهار عالمك البائس الحزين أود أن أعترف لك بما يلي:

1. أكـره ذلك الهوس الذي يصيب يدي وهـي تفتش عن الموبايل بجوار السرير لأفتح صفحتي فور استيقاظي. ويأخذني الحنين إلى طقوس حياتي قبل دخول عصر الفيسبوك.

2. كنتُ أسـخر من صداقـات العالم الافتراضـي التي تحولت في الواقع إلى قصص حب وزواج، إلى أن تزوجت سرًّا لمدة ستة أشهر من مهندس لم يكن سوى مجرد رقم في قائمتي.

t.me/qurssan

3. لا أضيف أقاربي لأنهم يتحولون إلى جواسيس يراقبون كل كلمة أكتبها.

4. أتعمد ترك من يطلبون الإضافة عالقين لأيام قبل إضافتهم.. وكلما شعرت بالضيق أحذف خمسة أشخاص على الأقل.

5. قمت بالدردشة الحميمة مع أشخاص ليسوا أصدقاء لي.. لمجرد الرغبة في الكلام مع شخص من خارج دائرة حياتي. ومرة واحدة فقط تطورت دردشة مع شاعرة معروفة وسافرنا بعدها إلى الأقصر. وكانت مغامرة مجنونة لكنني لم أتحمس لتكرارها.

والآن أفكر في ذنوبي الافتراضية يا سيدي زوكربرج.. في الشات الحميم والنميمة وسرعة غضبي والبلوك واضطراري لتجاهل أشياء تعجبني لمجرد الكبر على أصحابها.. وكل التفاهات التي كتبتها.. لا أدري هل سيكون الحساب عنها مثل الحساب عن ذنوبنا الواقعية؟! وأضحك كلما تخيلت نفسي يوم القيامة وأنا أتصفح دفتر ستاتوساتي كاملًا لم ينقص منه حرف.. أعتقد أن حجم الدفتر سيكون أكبر من رواية «الحرب والسلام». فإذا كان لي نصيب ودخلت جنتك الافتراضية سأطلب الاحتفاظ بنسخة منه، ليس للاستمتاع بتفاهاتي التي كنت أكتبها.. بل لكي لا أنسى كل الأوغاد الذين ضايقوني في حياتي».

انتهت منال من كتابة اعترافاتها الخمسة وحسب تقاليد التحدي دعت ثلاثة أشخاص آخرين للمشاركة فيه، وهم صديقتها هدى

t.me/qurssan

محمود وخطيبها ديفيد ود.أحمد علوي، ثم أغلقت اللاب توب وهي تشعر بصفاء روحي بعدما أدلت باعترافاتها للقديس زوكربج. ارتدت صندلها الأحمر ولمحت موبايلها الجلاكسي يضيء في حقيبة اليد. كانت هدى تتصل بها وتستشيرها في الاستقالة من جاليري علوي. أخبرتها عرضًا بمشكلة زوجها. المشكلة ليست جديدة لكن الجديد اتصال امرأة مجهولة بها، وهي تعرف رأي منال جيدًا.. وسمعت نفس الكلام منها عشرات المرات.. أنت يا هدهد ضحية طيبة قلبك.. تعودتِ على حماية والدك الله يرحمه. كنت مبسوطة من مسدسه مع إنه عمره ما استخدمه! ولما مات فجأة استسلمت لأول عرض زواج، ولما استوعبتِ إنه غير مناسب لجأت إلى علوي لحمايتك.. الرجل يطمع فيك لا أكثر.. لن يضحي بزوجته التي تطبخ وتغسل له رجليه بالماء والملح، من أجل إعجابه بك.. علوي مشغول فقط بقفص الحريم الخاص به.. فكري في مصلحتك يا هدهد.. وإذا كان زوجك يخونك الآن على الفيسبوك خونيه في الواقع.. خيانة بخيانة.. تعالي اسهري معنا وأعرفك على شاب أسمراني، أبوه كيني وأمه سودانية.. يا هدهد أنت كنت أفضل رسامة في الدفعة.. عيشي حياتك.. صدقيني السعادة إحساس جواني فلا تنتظري من غيرك إنه يسعدك.

علاقة مينو وهدى مرت بمطبات كثيرة، كل واحدة اختارت لنفسها طريقًا مختلفًا بعد التخرج، هدى راهنت على الزواج والاستقرار ومنال على الطموح والحرية. كلتاهما ترى في الأخرى الشبح الذي هربت منه. مينو هربت من براءة وسذاجة صديقتها.. وهدى ارتعبت من جرأة

t.me/qurssan

ومغامـرات صديقتهـا وإن تمنتهـا في لحظـات. تتعامـلان كصديقتين أبديتين رغم اختلاف المصير وأسلوب الحياة.

ـ «خليك مجنونة وتعالي»

سألتها بخبث:

ـ «وعلوي؟»

ردت بتهكم:

ـ «علوي مستحيل يفوت سهرة فيها كعب عالي.. إلبسي وتعالي»

ـ «لا.. أنا تعبانة جدًّا»

بعد أن أغلقت الخط معها، اتصلت هدى بزوجها. قررت أن تقول كلمتهـا الأخيـرة. لن تكتبها على الشـات. اسـتدعت رقمه مـن ذاكرة الموبايـل لاشـعوريًّا ورنـت عليـه. كان عبـد الرحمن قد غادر سـايبر «الملاك الأزرق»، ومضى باتجاه محل خضر البقال لشـراء كيلو اللبن الذي طلبته أمه.

رتبـت كلامًا مثـل طلقات الرصاص، رددته علـى قلبها طويلًا. في آخـر لحظـة تراجعـت وأغلقت الخـط، ودمعـت عيناهـا على صوت وردة:

«ودوبنا يا ما دوبنا..

ياما ياما دوبنا..

t.me/qurssan

واتعذبت قلوبنا»

في اللحظة ذاتها اتصلت منال بعلوي وأخبرته أنها ستتأخر ربع ساعة بسبب زحمة الطريق قبل نفق الهرم، مع إنها لم تكن غادرت شقتها.

كان علوي ينتظر مكالمتها. خلع التيشيرت وارتدى البدلة الكحلي على قميص زهري فاتح، وبعدما أخرج ربطة العنق أعادها في مكانها، حتى لا يبدو كهلًا ورسميًّا أكثر مما يجب.

تعطر ثم عاد متوترًا إلى صفحته. كانت مفتوحة، وساكنة، لا تبعد عن وجهه المحني للأمام، أكثر من شبر. وكان ضوء المكتب مائلًا إلى الاصفرار.

جلس هكذا، لا يتفاعل مع أي شيء في انتظار رنة منال عندما تصل أسفل البيت. استغرب أنه لا توجد أي تعليقات جديدة على الستاتوس الذي كتبه من نصف ساعة تقريبًا: «أقبل صداقة الجميع عدا الآتي ذكرهم: «الزهرة المشخلعة»، و«رنّة خلخالي»، و«عاشقة وغلبانة»، و«سترينج ممزّق»، و«مُزّة شبرا»!

ظل يراقب صامتًا. الوول يبدو ساكنًا أكثر من المعتاد. كما توقع، لم تعلق «بنت البحر» على الستاتوس بكلمة واحدة.

غادر إلى صفحة منال وقرأ اعترافاتها الخمسة واستغرب أنها تلمح لعلاقة حميمة جمعتها مع شاعرة! رغم أن علاقته الجسدية بها انتهت

t.me/qurssan

منـذ مدة طويلة، لكنه مـازال مولعًا بمراقبتها. كل سـتاتوس تكتب يتيـح له أن يستشـف مزاجها، آراءها بشـأن ما يدور فـي البلد، الا التي أعجبتها، وحتى الأدوية التي تتعاطاها.

«قل لي ما هو السـتاتوس الذي تكتبه أقل لك من أنت!» قال لنف فبعد أن يصبح للمرء اسم وصورة وأصدقاء عليه أن يقول كلمته و هويتـه. لا أحد يحتمل أن يبقـى موصولًا بالإنترنت وصامتًا إلى الا هو نفسه لا يتحمل الصمت وكل هذا الكلام يتدفق حوله.

فكـر فـي حـذف السـتاتوس الـذي كتبـه عـن «عاشـقة وغلبانة» اسـتغرب أنه في داخله يلوم منال على كتابة كل شعور يساورها لحظة بلحظة.. وهو نفسه يتورط في الشيء نفسه! ليس من المنطق أن يكتب أنه ارتدى ملابسـه اسـتعدادًا لقضاء سهرة في مقهى أندريا.. ثم يذهب ويتـرك مثل هذا الكلام السـخيف مسـجلًا أمـام آلاف البشـر للبحلقة فيـه، مثل الأحمـق الذي يعترف كل دقيقـة، دون أن يطلب منه أحد أن يعترف!

خطر في باله أن تكون «عاشـقة وغلبانة» تتابعه منذ مدة وتنسخ كل ستاتوس يكتبه، وتستطيع الآن بكل بساطة أن تنتحل شخصيته.

منال لا تمارس رقصتها على الوول بطريقته الحذرة التي تتحسـس مـن ضغطة لايك على أي شـيء يعجبه، رغم أن عينيـه لا تتوقفان عن البحلقـة فـي كل جديد. أثناء التقليـب في ألبوم صورها كـي يظهر لها خلال السـهرة إعجابه بفساتينها وقصات شعرها الأخيرة، تلقى رسالة

t.me/qurssan

وشركة Seven Nights تهنئه لأنه فاز بلقب «كلب الفيسبوك الأمين» ويطلب منه ترشيح أصدقاء من قائمته. كل المطلوب معلومات عادية: اسم الصديق، البريد الإلكتروني، العمر، الاهتمامات.. مقابل عمولة شقية: نصف دولار عن كل صديق يرشحه! استنتج أنها شركة من مئات الشركات تتجول عشوائيًا في الشبكة العنكبوتية.

لا يعرف لماذا اختارته تحديدًا ولا كيف علمت أنه جدير بلقب «كلب الفيسبوك الأمين»! إذا رفض إغراء نصف الدولار فإن غيره بالتأكيد سوف يقبل، ويعتبره عملًا مسليًا. في النهاية ما تكتبه منال أو غيرها لا يظهر أمامه فقط بل يظهر في ثوان أمام آلاف العيون.

لكن كيف تمنحه الشركة هذا اللقب وهو لم يستطع حماية الرسالة اليتيمة التي أرسلها إلى هدى؟! فها هي «عاشقة وغلبانة» تتلاعب به.. و«كلب الفيسبوك الأمين» عاجز عن فعل أي شيء!

t.me/qurssan

12

فيتامين اللايك

11:01 PM

تأملت هدى الواجهة الخارجية، كانت زرقاء بدرجات متفاوتة، وباردة. حرف f يتوسط شكلًا يشبه الموبايل على اليسار، والفراغات على اليمين تنادي العين، مثل بوابة مسحورة بين الواقع والوهم. ملأتها ـ لاشعوريًّا ـ ودخلت مرة أخرى بعدما تأكدت من استغراق ليلى ابنتها في النوم.

انكسار ما كان يحني كتفيها إلى الأمام. لماذا لا تنجح في ترك أحزانها خارج الصفحة؟! ربما للأحزان قدرة على اختراق الباسوورد. هل جلبت شقاءها معها أم أن الفيسبوك نسخ شقاءها بأحجام مضاعفة، لتراه في عدد لانهائي من المرايا؟ تهرب إليه من عالمها الضيق الذي لا يكف عن هزيمتها، كأنها تبحث هناك عن نسخ أخرى من ذاتها، فلا تلقى إلا الخواء، مثل المقامر الذي لا يبالي فيظل يجدد خساراته. أي سعادة تتوقعها في عالم بديل؟!

t.me/qurssan

شغلت نفسها بالإجابة عن أسئلة كويز «أين يجب أن تعيش على الكرة الأرضية؟» رغم أنها لا تميل عادة للمشاركة في الكويزات التي تخبرها باسم الشخصية التي كانت تشبهها قبل مائة عام، أو النجم الوسيم الذي كانت تستحق الزواج منه، لكن هذا الكويز بدا لها منطقيًّا في هذه اللحظة، فبعد انهيار الفيسبوك سوف تختفي متع كثيرة ودسائس، ومن حقها أن تختار المكان الذي تستحق أن تعيش فيه. لماذا لا تحلم بالهجرة مثل عبد الرحمن؟

كان الكويز يطرح عليها أسئلة غريبة، منها تحديد جنسها، برج ميلادها، وكيف تتصرف عند تعطل المكيف.. موقفها من تباهي الشباب بعضلاتهم في الشتاء، وهل القصة الأقرب إلى قلبها: «آدم وحواء» أم فيلم «سيد الخواتم»؟

الكويز المتكتم احتفظ لنفسه بما عرف من معلومات عنها، دون أن يخبرها ما الذي اكتشفه في شخصيتها كي تستحق الحياة في سنغافورة. ربما هي مجرد بلد عشوائية، وإلا ما معنى أن يجيب غيرها عن الأسئلة نفسها ثم يرشح للعيش في أفغانستان؟!

هل حقًّا يملك زوكربرج القدرة السحرية كي يعيد توزيع البشر على الكرة الأرضية وفق قاعدة «الإنسان المناسب في البلد المناسب»، أم ستبقى الحكاية مجرد رمية نرد عشوائية ألقت بالبشر هنا وهناك، وجعلتهم نبلاء وحقراء؟!

t.me/qurssan

هل سيعلم كويز من تسعة عشر سؤالًا ما هي البلد المثالية للإنسان أكثر من ربنا نفسه؟!

مازال الناس لا يتحدثون إلا عن انهيار الموقع، وإن كان الوول يسير بشكل طبيعي في هذه اللحظة. يستريح قليلًا ثم ينشط.. يبتلع كل ما يُكتب في حركة دائبة. ولا أحد يعلم أين يُفرغ حمولته العائمة على سطحه! كان يندفع بلا هوادة إلى أسفل.. إلى النسيان. حياتنا كلها مثل الوول. صخب ينتهي إلى التلاشي. مواعيد دقيقة لممارسة التفاهات. تُرى ما الوجع التقني الذي جعله ينفجر هكذا؟! كانت تشعر بتلك الرغبة الحارقة في كتابة ستاتوس يحتفي بعودة الفيسبوك مثل الآخرين.. أن تعوم مع موجة التعليقات الساخرة عن الزلزال الذي ضرب الصفحات بقوة 70 درجة على مقياس ريختر.. والتحذير من توابعه التي ستفضح كل أسرارنا وقصصنا العاطفية الملتهبة.

من يدري حقًّا أنه ليس يوم القيامة الافتراضي وأن الملائكة بدأت الآن في فرز اللايكات المغشوشة من الصادقة؟! لايكات النفاق والتدليس والحسابات المزورة.. لايكات كانت في غير محلها أو جاءتنا للأسف بعد فوات الأوان.. لايكات اكتشفنا أننا منحناها لأشخاص لا يستحقونها. فما الأثر الذي يتبقى من كل منا بعد موته إلا ما حصل عليه من لايكات في حياته؟! ويوم الحشر سنمضي وليس على ظهورنا سوى جراب كبير من اللايكات أو الديسلايكات.. انتظارًا لتبديلها إلى حسنات أو سيئات، ببساطة تبديل العملة في أي

t.me/qurssan

مكتب صرافة. ملايين الناس ماتوا كمدًا وأرواحهم عالقة في لايك واحد.. ظلوا طوال سنوات عمرهم البائس يعافرون ثم ماتوا ولم يحصلوا عليه!

من يومين أرسلت إلى جارها الطبيب، نتائج التحاليل التي أجرتها قبل عشرة أيام. أخبرته أنها مرهقة جدًّا وتشعر بالإعياء من أقل جهد، وأحيانًا تصيبها حركات لا إرادية في وجهها مثل ارتعاش شفتيها فجأة أو تصلب نصف وجهها. رد مازحًا: «صحتك فل الفل.. التحاليل كلها مطمئنة.. فقط دلع بنات ونقص طفيف في فيتامين اللايك»!

هل هي فعلًا تعيش أزمة فيتامين اللايك؟ تضع نفسها في مرتبة ثانية بعد الآخرين على أمل أن يقدروها بلفتة امتنان صغيرة، لكنها لا تحصل عليها أبدًا. لسوء حظها لا تعثر على اللايك الذي تحتاج إليه في الوقت المناسب.

لا تفهم سر الفجوة بين ما تصدره للآخرين من لايكات وما تحصل عليه في المقابل، معادلة غريبة لا تقل غرابة عن أن يكتب أحدهم: «أنا حزين ومكتئب» فيكتفي أصدقاؤه بوضع خمسة أو ستة لايكات، ويستكثرون عليه أي كومنت يواسيه!

عبد الرحمن في أحسن حالاته المزاجية كان يضع اللايك بطريقة غير مناسبة، بعد فوات الأوان، على عكس علوي فهو دائمًا يشعر باحتياجها إلى «اللايك» حتى قبل أن تبوح به.

t.me/qurssan

تطلعت إلى اهتزاز موبايلها، ذبذبة وطنين على سطح الطاولة الزجاجي. قرأت اسم د.علوي يومض ويختفي. يرن ربما للمرة الخامسة! هل سيعتذر عما حدث اليوم؟ سيقول مازحًا بطريقته التي تعرفها بأن القيامة لن تقوم إذا ردت عليه في الحادية عشرة مساء.. ظنًّا منه أن هذا الأمر قد يثير غضب وغيرة زوجها. كان قد أرسل إليها: «أرجوك ردي يا جرنيكا»، قرأتها ولم ترد.

في صباح تداعبه نسمة خفيفة، جلست معه في كافيه كومباني، كانت ترتدي بدلة بيضاء من الكتان الخفيف، ولا تتوقف عن الضحك الرنان دون سبب معين. عندما تضحك بكل قوتها كانت تفاجأ بالدموع تملأ عينيها. سمعت صوت وردة يأتي من مكان ما: «آه يا ليل.. يا آخر المشوار».

كأن أذنها لا تلتقط إلا ذبذبات صوت وردة. يومها علق د.علوي بأنها تغني بجمال صوتها وليس بإحساسها. استغرب بهجة صوتها رغم شجن ألحانها! دافعت عنها فحسم النقاش بطريقته المعهودة في اختزال الأشياء: «وردة أجمل صوت كاذب!»

رفعت الموبايل عن الطاولة وبدأت في كتابة رسالة مقتضبة:

«مساء الخير د.علوي

تعرف مكانتك عندي وإنك مثل أعلى وأستاذي وصديقي.. ولا أحب تشويه كل المعاني الحلوة بيننا.. لا أريد أن أخسر صورتك في نفسي.. وبعد تفكير أرجو أن تقبل استقالتي من العمل».

t.me/qurssan

وضعت إبهامها على زر الإرسال. لم تجرؤ على الضغط. احتفظت بالرسالة في فولدر المسودات!

مديرة أعمال د.علوي لقب فخم لمهنة «سكرتيرة»! في كلية الفنون الجميلة كان بينهما تواصل أكثر من مجرد علاقة بين أستاذ وطالبة. عرض عليها أن تعمل كموديل فوجهها يضاهي وجوه النساء في لوحات عصر النهضة. يشبه للوهلة الأولى وجه كيت وينسلت. آنذاك كان من يراها من بعيد بشعرها الذهبي القاتم وخديها المتوردين الناضجين، يحسبها رائعة الجمال، لكن بشرتها الحليبية لا تخلو من بثور وبقع حمراء خفيفة لا يداريها الماكياج. أجمل ما في وجهها رقة شفتيها بلونهما الوردي الفاتح، وذلك الشجن في عينيها الواسعتين عندما تضحك.

غير معقول أنها أفنت سنوات عمرها ترسم وتدرس الضوء والظل والألوان كي تكون في نهاية الأمر «مرسومة» لا «رسامة»! لا تريد أن تضع نفسها في صراعات هي في غنى عنها. عبد الرحمن لن يرحمها بل يمكنه بسهولة أن يشوه صورتها لدى ابنتها.. ليلى طفلة لن تفهم كل تلك القصص المعقدة التي دفعت أمها للاستلقاء شبه عارية أمام رجل غريب كي يصورها في لوحة يشاهدها عشرات الغرباء وينهشون عريها!

عندما زارها د.علوي مع مينو في المعرض اليتيم الذي أقامته.. توقف كثيرًا أمام لوحتها «المرأة والأرجوحة والمرآة»! فسَّر المرآة

t.me/qurssan

بأنها رمز للمستقبل، والمرأة تحاول أن ترى المستقبل لكن الماضي المفزع الذي أصبح خلف ظهرها هو ما ينعكس على المرآة، فتصاب بالرعب.

سألته مينو مازحة: «وتفسيرك للأرجوحة يا دكتور؟»

رد بثقة وهو يعقد يديه وراء ظهره، ويؤرجح رأسه يمينًا ويسارًا: «هي الزمن نفسه يتأرجح، تك تاك.. تك تاك.. إلى ما لانهاية.. حركة مقيدة في المكان نفسه.. لا شيء يحدث.. لا شيء يتغير.. تك تاك.. تك تاك»!

عندما قالت لمينو إنها شعرت بالرعب وهي تستمع إلى نبرات صوته المشروخة، وحركة رأسه تكرر: تك تاك.. تك تاك.. استلقت مينو من الضحك وردت بأن كلام علوي كله «إغواءات جنسية»، ليس أكثر!

ـ «تك تاك.. تك تاك!» قالتها مينو بحركة فاحشة.

t.me/qurssan

11

ستريدنج ممزق

10:55 PM

«عاشقة وغلبانة»! اسم لن ينساه أبدًا د.أحمد علوي. اسم يرن مثل مسمار في دماغه. منذ حوالي ساعتين وهو يجلس بلهفة منتظرًا رد هدى على رسالته. آخر ما كان يتوقعه أن تُعاد الرسالة كما هي ليس لخطأ في العنوان بل لأن «عاشقة وغلبانة» قررت أن تلقنه درسًا!

راح يدخن سيجارة طويلة، تشبه السيجار الكوبي لكنها رفيعة جدًا. اعتاد أن يفعل ذلك عندما يكون في أقصى درجات التوتر، وغالبًا لا يكملها.

كان من التركيز إلى درجة أنه لم يبال بالسيارة التي كحتت إسفلت الشارع، وربما اصطدمت بسور الفيلا الصغيرة التي يعيش فيها. تُرى من هي هذه «العاشقة» و«الغلبانة»، التي أوقعته في الفخ؟! نهض من وراء مكتبه وراح يدور حوله.. هل تعاقبه على أمر لا يعرفه؟ هل يلومها فعلًا أم يلوم نفسه على رسالته غير اللائقة؟ ألم يشعر أنها «غير لائقة»

t.me/qurssan

إلا بعد أن أُعيدت إليه؟ مستحيل أن يحدث ذلك إلا إذا كان لهدى يد في المؤامرة! معقول أستاذ جامعي وفنان تشكيلي ناجح مثله يسقط في مثل هذا الفخ؟! لقد عاش طول عمره يرتب كل شيء، وفي نهاية العام يراجع حساب المكسب والخسائر. الآن ليس أمامه سوى أن يرتب كذبة مناسبة لإنقاذ ماء وجهه. كذبة تنطلي على زوجته وأولاده. أكيد «عاشقة وغلبانة» الملعونة نسخت الرسالة وأرسلتها لكل المتصلين معه! استجمع تركيزه وكتب:

«أعتذر لجميع الأصدقاء لقد تم الاستيلاء على صفحتي من قبل واحدة اسمها «عاشقة وغلبانة».. لكنني استعدت الصفحة بحمد الله بالاستعانة بفني كمبيوتر.. فأرجو قبول اعتذاري عن أي رسائل أو مواد مسيئة قد تكون وصلتكم.. ولكم جزيل الشكر».

ـ بوجي: «ولا يهمك يا دكتور.. أخلاقك معروفة للجميع».

ـ حرفوش: «حصل معاي نفس الموقف من واحدة اسمها بطة.. كانت محتاجة حد يزغطها»

ـ بنت البحر: «يا دكتور يكفيك روحك المشجعة للمبدعين والمبدعات الشابات». ثم وضعت متعمدة بجوار كلمة «الشابات» رأسًا فسفوريًّا يغمز له، كأنها تقول: «وقعت يا حلو!».

ما كتبه دفع كثيرين ـ لا يعرفهم ـ للنبش في صفحته وألبوم صوره، حيث كان يظهر في عشرات الصور وهو يرتدي قمصانًا وردية على

t.me/qurssan

جاكيت أبيض أو سكري. يعتني بحلاقة ذقنه، ويترك خصلات شعره الرمادي تتدلى إلى الوراء. رجل متوسط الطول، وله ابتسامة ساخرة تدل على ثقة عالية بالنفس.

بعض هؤلاء الفضوليين كانوا أكثر لؤمًا، فتحوا «الإنبوكس» الخاص به، فانفتح معهم، وقرءوا بتمعن رسالة «عاشقة وغلبانة» قبل أن ينتبه ويحذفها. ورغم أنه لم يرد على الرسالة، لكن من الواضح أنه كان يداري على فضيحته!

ليس أمامه سوى الكذب لحماية صورته أمام الآخرين.. فهو صديق شخصي لكثير من المشاهير مثل عادل إمام ومحمود سعد وفيفي عبده وشوبير وفهمي هويدي.. الكارثة أن التفاصيل كلها حقيقية! حتى لو كانت غير حقيقية، أسهل شيء عند الناس أنهم يسيئون الظن.. ملعوب كبير يا علوي! لو أبلغ إدارة الأمن الإلكتروني الضجة ستكون أكبر.. تعثر في بلع ريقه. أليس من المحتمل أن يكون من أرسل الرسالة زوجها؟ يدمر سمعتها أولًا وبعدها يطلقها في موقف بطولي!

كان قد أخذ من الرسالة نسخة على الديسك توب، وراح يعيد قراءتها.. هي بالنص كما كتبها.. ركز في المقدمة التي قد تشي بمن أرسلها.. ليس سوى كلمات قليلة:

«ألاعيبك مكشوفة يا دكتور.. عيب عليك داير على حل شعرك مع سكرتيرتك وأنت زوجتك إنسانة محترمة ومحجبة وابنك شاب في الجامعة!»

t.me/qurssan

عـاود الاتصـال لكنهـا لم تـرد، فأرسـل إليها رسـالة قصيـرة على الموبايل:

ـ «أرجوك ردي يا جرنيكا»!

«جرنيكا» الاسم السري الذي كان يطلقه عليها. شفرة التحبب. أي كلام معها سيزيد الأمـور تعقيدًا. هي متضررة مثلـه وأكثر! الاحتمال الـذي غـاب عن باله أن تكون الرسـالة أرسـلت أيضًا إلـى زوج هدى أو إلـى زوجتـه هو! من حسـن حظه أنهـا ذهبت للنوم منـذ دقائق ولن تفتح صفحتها إلا في الصباح.. خطر في باله أن يكون مرحًا كأن شـيئًا لـم يكن. غير معقـول أن تهتز صورته لمجرد رسـالة وزعتها «عاشـقة وغلبانة»!

الأمـر يتجـاوز مجرد رسـالة مزعجة إلـى تدمير سـمعته. الخديعة تأتي دائمًا من حيث نفرط في الشـعور الوهمي بالأمان.. كل الأسـرار أصبحـت الآن على المشـاع، فما أسـهل أن تتلاعب به إنسـانة حقيرة كما يحلو لها! قرر أن يكون مرحًا ويوصل رسـالة ضمنية إلى «عاشـقة وغلبانة» بأنه لا يبالي. كتب:

«أقبـل صداقـة الجميع عـدا الآتي ذكرهـم: «الزهرة المشـخلعة»، و«رنّـة خلخالـي»، و«عاشـقة وغلبانـة»، و«سـترينج ممـزّق»، و«مُزّة شـبرا»! خـلال دقائق حصل علـى 43 لايـك، وعشـرة «هههههههه»، وتعليقات أخرى طريفة:

t.me/qurssan

- حرفوش: «مُزة شبرا من الموز.. مصر مشهورة بالموز العسلي الطري!»

- منال السمري (من موبايل): «سترينج ممزق» عنوان معرض يجنن».

- يمام العراقي: «صاحبة سترينج ممزق إنسانة عانت من اغتصاب ابن الجيران لها.. حسب تفسير العم فرويد قدس الله سره».

قرأ التعليقات بتأن ولاحظ أن «بنت البحر» لم تعلق في المرة الثانية. أطفأ اللاب توب، وأثناء ارتداء ملابسه خمن أن تكون هي من تتلاعب به لأن كلامها يحتمل معنيين، وهي الوحيدة التي أضافت غمزة لوجه فسفوري لئيم.

t.me/qurssan

10

الرسالة تعود إلى صاحبها

10:42 PM

بعدما طلب عبد الرحمن من مهلبية أن تمهله عشر دقائق للرد على تليفون من والدته، خمنت أنها معركة عاصفة بينه وبين زوجته! الرجال أكثر سذاجة من أن يجيدوا الكذب، والشات كشف لها كل شيء. عبد الرحمن وزيزو لا يخفيان عنها أي شيء، ولو دققت قليلًا لرأت حوارهما متاحًا أمامها.

ـ «هاي زيزو»

لم يرد، فأرسلت إليه نكزة Poke

أخيرًا رد عليها:

ـ «لحظة يا قمر.. عبد الرحمن معي»

كانت قد تعرفت على زيزو من خلال عبد الرحمن. سهروا معًا أكثر من مرة في شارع الهرم، وعندما عرض عليها أن يقيموا حفلة في شقتها رفضت. قالت إن والدها مريض جدا ومستحيل أن تستضيف

t.me/qurssan

أكثر من شخص واحد في المرة! ساعتها اعترفت لعبد الرحمن أنها تعيش مع والدها وليس زوج أمها كما ادعت في البداية.

والدها فعلًا يلفظ أنفاسه منذ سنوات، وهي ترعاه مقابل مبلغ محدد يدفعه أخواها بالتناوب شهريًا. تضطر لتحميمه بنفسها، وكل عمليات الإخراج المقرفة يقوم بها في الفراش. رغم المجهود الذي تقوم به ورائحة المرض التي تكرهها لا ينطق والدها بكلمة «شكرًا» بل يتحاشى النظر في وجهها! إذا تورط في أمر ما أو حصره البول بالكاد يضغط على جرس أعلى يده.. أو يلوح لها بعصبية باذلًا جهدًا استثنائيًا كي ترى تلويحته عبر الباب الموارب.

في قرارة نفسها لا تسامحه أبدًا. تعتقد أن بخله الشديد عجل بوفاة أمها قبل الأوان في الجناح المجاني في القصر العيني. لا تنسى تحديقة أمها في وجه أبيها قبل أن تستسلم وهي تمسك بيدها. رجل بخيل ومراوغ حتى في موته! كانت تفرح في سرها عندما يتم حجزه عدة أيام في مستشفى بولاق الدكرور. تجدها فرصة للخلاص مؤقتًا.

في إحدى مرات احتجازه في قسم القلب، أحست أنها لن تراه مرة أخرى وألحت عليها فكرة ممارسة الجنس بشكل جنوني. غادرت المستشفى خلسة وباتت مع زيزو في شقته. عندما خلعت سوتيانها المبطن أمامه لأول مرة وبسبب رجرجة جسمها أطلق عليها اسم «مهلبية». ثم تبنت هي وزيزو وعبد الرحمن الاسم كشفرة مشتركة.

t.me/qurssan

وبعد أن كان يضاجعها في أوقات مسروقة في شقته، رتب معها زيارات نهارية إلى شقة أبيها كي لا يلفت الأنظار أثناء صعوده.

كل مضاجعة هي عقاب لأبيها على أشياء لم تعد تتذكرها بوضوح الآن! شتان ما بين مهلبية الممرضة لأب عجوز يحتضر، والغارقة في رائحة العرق والبول والأدوية، ومهلبية التي يتخليها عشرات الرجال على الفيسبوك.

أخيرًا رد عليها زيزو وأخبرها برسالة علوي، فطلبت بإلحاح نسخة منها. راحت تقرؤها وهي تبتسم. ليست بالإثارة التي توقعتها. كلها حب عذري! كما قالت.

أبعدت اللاب توب ورفعت ركبتيها لأعلى أمام عينيها. راحت تثنيهما وتفردهما في إيقاع منتظم. ملابسها البيتية الخفيفة تظهر بدانتها الخفيفة. ومضتْ الفكرة في رأسها فجأة فوضعت اللاب توب في حجرها مرة أخرى، وذهبت إلى صفحة أحمد علوي.

ـ « يا أهلًا يا أهلًا بحبيب القلب!»

رجل دقيق ومرتب. كان يضع سيرة ذاتية كاملة في صفحته:ـ مواليد 17 أكتوبر 1963 حي السيدة زينب، أستاذ في كلية الفنون الجميلة، أقام 17 معرضًا شخصيًّا و9 معارض مشتركة. متزوج من د.ماجدة سعيد. ويمكن بسهولة الضغط على اسمها للذهاب إلى صفحتها وإرسال أي رسالة إليها.

t.me/qurssan

هـؤلاء الـ 1345 هم قائمـة أصدقائه، على عكس قائمة زوجته التي لا تزيـد عن 100 اسـم. لا يبدو أنهـا مولعة بالمعجبين مثلـه! كان مثل بقية الرجال لا يتوقف عن ترديد شـعارات تدينه المتسامح ويثبت أمام الجميـع صـورة زوجته المحجبة، ثم في السـر يتبادل رسـائل العشـق والغرام مع سكرتيرته!

لن تخسر شيئًا إذا أعادت توجيه رسالته الغرامية إلى زوجته، وأفراد قائمتها الأسرية وإلى أصدقاء هدى أيضًا. فكل ما ستفعله أنها ستفضح رجلًا يستحق الفضيحة. الأمر كله لم يستغرق منها سوى دقائق، بعدما غيرت اسمها إلى «عاشقة وغلبانة».

t.me/qurssan

9

الشجرة العنيدة استسلمت للمنشار

10:35 PM

تنهدت هدى بأسى. أزاحت اللاب توب بعيدًا عن يدها. كانت أمها مازالت تراقبها صامتة وهي تستعد للنزول. أخبرتها قبل أن تنصرف أن البنت أكلت بطاطس مشوية بالزبادي.. ليلى تحب هذه الأكلة.. والآن جاء موعد النوم و«حدوتة» قبل النوم.

رفعت من فوق الكومودينو صورتها عندما كانت في كلية الفنون الجميلة. حاولت أن تقلد ضحكتها التي في الصورة لكنها فشلت. جاءها صوت وردة من الصالة:

«قال يعني مش فاكرنا ولا فاكر حب بينا.. حب بينا.. وأيامنا سوا!»

عبد الرحمن تغير بسرعة. يوم كامل يمر ولا يتكلم معها أكثر من خمس دقائق. معظم الوقت كان يجلس على الكمبيوتر، يطلق الرصاص على أعداء وهميين في لعبته المفضلة. لا تدري متى أصبح

t.me/qurssan

متكتمًــا، يغلق الباب بعناية وراءه. آخر ما تصورته أن تعثر قبل أســبوع تقريبًــا.. على فولدر صور وكليبــات إباحية. الفولدر الذي نكأ الجراح كلهــا. خمنــت أن يكــون زيــزو أهــداه إليــه. واجهتــه، فترك المشــكلة الأساســية كعادتــه واعتبر ذلك تجسسًــا وتدخلًا فــي خصوصياته. أي خصوصيات بين زوج وزوجة؟! لم تتحمل بروده وابتسامته الساخرة. طلبت منه أن يقطع علاقته به نهائيًا.. هي في كفة وزيزو في كفة أخرى. انفعل جدًّا، وأصر أنه ليس من حقها أن تحدد له كشفًا بأصدقائه. أخيرًا تيقنــت أنها بلا قيمة فــي حياته، تأتي في المرتبة العاشــرة بعد أصحابه الذيــن يتبادلــون معــه أفــلام البورنــو! كانت ليلــة ســوداء انفعلت كأن شيطانًا تلبسها. لا تتذكر إن كانت هي أم هو الذي حطم الطبق الصيني المملوء بالمكسرات! كبت السنين كله خرج في تلك الليلة مثل وحش بألف صيحة. صرخت وعضت وضربت وجرحت شفته بظفرها. وقفا وجهًا لوجه مثل ديكين نافرين متحفزين للصراع! ثم شعرت بدوار وأن دمها كله يهرب أسفل قدميها.. عتمة ودوار. أغمضت عينيها وانهارت على الكرســي وهي تلطم وجهها بيديها، وتهز رأســها المنكفئ، يمينًا ويســارًا. حركة ندم عنيفة تقول بها لنفســها: «أنــت الغلطانة يا هدى.. أنت الغلطانة.. أنت الغلطانة»!

كانــت تعلم مــن صديقاتها عن المعــارك الضارية علــى الإنبوكــس مــع أزواجهن، على عكــس التظاهر بالود والوئام علــى الوول. لكنها لا تجيد هذه الازدواجية، ما في قلبها يظهر على لســانها، وما تكتبه في الإنبوكــس لا يختلف عمــا تكتبه على الــوول. حتى قبل هــذه الواقعة

t.me/qurssan

الأخيرة كان حجم التجاهل العميق بينها وبين زوجها باديًا للعيان، فهما لا يتبادلان أي كومنت على الإطلاق. أين هذا من فترة الخطوبة والثرثرة بالخمس ساعات في التليفون حتى أذان الفجر؟ غير اللف في حدائق الأورمان والزمالك والكورنيش. في كل نزهة كان هناك متسع لميلاد حلم جديد.. أحلام لا يتحقق منها أي شيء! تلاشت الأحلام ولم يبق سوى طفلة صغيرة لا ذنب لها في كل هذا.. طفلة تبدو مثل قيد قاس لا خلاص منه، كي يبقى كل منهما يخمش بأظفاره قلب الآخر!

انتبهت إلى صوت ليلى بعدما غسلت أسنانها وعادت من الحمام:

ـ «إلحقيني بالحدوتة يا ماما بسرعة قبل ما أنام»

ليلى لن تتهاون أبدًا في حقها في «حدوتة» قبل النوم، وهدى تعتبر ذلك علامة مبكرة على قوة شخصيتها. ضمتها في حضنها كأنها تخفيها من غدر الزمن تحت جناحيها. ظلت لحظات تستجمع أية حكاية من ذاكرتها. كلما أغمضت عينيها كي تتذكر لا تستجمع إلا ألمها الخاص.

وبعد «كان يا ما كان» و«الصلاة والسلام على النبي العدنان» حكت لها حكاية «الشجرة المجنونة».. شجرة تعيش في بستان كبير.. شجر توت وموز وتفاح وجميز.. كل شجرة تطرح ثمارها في ميعاد معلوم إلا الشجرة المجنونة.. وطبعا هددها البستاني بقطعها من جذعها

t.me/qurssan

وبيعها لتاجر الأخشاب، فوعدته أنها ستطرح ثمارها في الموسم القادم.. حاولت الأشجار إقناعها بأن تمردها لن يفيد. طالما البستاني يرعاها ويسقيها من حقه أن يجني ثمارها، لكن الشجرة كانت عنيدة وفضلت أن يقطعها. استسلمت لمنشار تاجر الخشب وهي تظن أن المجهول قد يكون أفضل من البقاء إلى الأبد في المكان نفسه. هل تمردت الشجرة لأنها أرادت أن تسمع من البستاني كلمة أخرى عدا الضجيج اليومي والصمت والتجاهل؟

لا تدري متى نامت ليلى! إذا سألتها في الغد عن نهاية الحكاية، ستخبرها أن البستاني زرع بدلًا منها شجرة تين عاقلة.

t.me/qurssan

8

مصيرك أمامك على الشاشة

10:35 PM

نافذة «مهلبيـة».. نافذة «هدى».. وبينهما انفتحت نافذة ثالثة «قناع زيزو».

ليـس سـهلًا أن يجري حوارًا مع ثلاثة أشـخاص فـي وقت واحد، لكـن عبـد الرحمن كان قد درب نفسـه جيدًا على هـذه الأمور، يعرف أي نافذة سـيضيء إشـعارها الأحمر أولًا.. الأمر لا يحتمل أن يذهب رده إلـى النافذة الخطأ. مزاجه هذه الليلة لا يسـمح له بهذه الحوارات الثلاثية التي لا يعرف فيها كل طرف ماذا يقول للآخر. كان قد تجاهل هـدى تمامًا، وطلب من مهلبية أن تمهله عشـر دقائق للرد على تليفون من والدته.

ـ «وصلتك الرسالة؟»

ـ «وصلت وقرأتها»

t.me/qurssan

كان يدخن ببطء وهو شارد في السايبر. يقلب الفكرة التي تلح عليه من كذا سنة. كان قد التقى «زيزو» في «كشري بابا عبده» وأخبره للمرة المليون أنه قرر بشكل جاد هذه المرة، الهجرة إلى أستراليا عند ابن عم أبيه الذي يملك هناك مزرعة خرفان على عشرين فدانًا. والده يحتفظ بحوالي 300 ألف جنيه في رصيده للزمن.. سيأخذ منه مائة ألف جنيه ويهاجر.

حلم الهجرة ليس جديدًا لكنه ظل يؤجله إلى ما بعد وفاة والديه. هذه ضريبة أن تكون الابن الوحيد لعجوزين ماكرين يؤجلان موعد موتهما عنادًا في حلمك!

زيزو أنهى طبق الكشري المشطشط وتجشأ، وهو يضبط إيقاع تكريعه كسخرية من كلام عبد الرحمن. لامه لأنه لم يسمع كلامه منذ سنوات عندما حذره من الزواج إذا كان فعلًا ينوي الهجرة. جدد اقتراحه بأن يهاجر بحرًا إلى إيطاليا بـ40 ألفًا ويوفر 60 ألفًا في البنك. قال له: ابن عم أبيك لن يتذكرك. الناس في الغربة أحقر من الحقارة. هو عمل مزرعة خرفان على عشرين فدانًا في أستراليا وأنت تعمل مزرعة عنب ومصنع خمور في إيطاليا.. المهم افتكرني بصندوق نبيذ أصلي.

يشعر في هذه اللحظة بأن يدًا عليا سحبته من رأسه ورطمته في جدار! تخيل لو كان قد هاجر إلى ميلانو ورأى نفسه هناك وهو يرتدي قبعة الكاوبوي ويحمل صناديق النبيذ بين ذراعيه وقد اكتسب

t.me/qurssan

عضـلات لم يتوقعها. حتى الكـرش تحول إلى عضلات! بينما زوجته الإيطاليـة الشـقراء تقبلـه فـي خـده. أغمض عينيه وسـحب نفسًـا من سيجارته، ثم عاد من رحلته الخيالية إلى سايبر الملاك الأزرق وطلب قهوة مضبوطة.

حـدق في الفراغ. ظل يسـحب الهواء ويزفره بقـوة. كأنه يعاني من كهولة قبل الأوان. بدلًا من أن يستمتع بذراعيه المفتولين، وقبلة زوجة شـقراء، ها هو يجلس في سـايبر حقير ويقرأ رسالة غرامية موجهة إلى زوجته!

أخيرًا تأكدت شـكوكه، هي تدفعه لتطليقها للـزواج من هذا الفنان التشكيلي ابن الـ...! ضرب الطاولة بعصبية. ما الذي فعله هذا الكلب ولا يريـد أن يعتـذر عنه؟! أسـوأ شـيء فـي الوجـود أن تثق فـي امرأة ليسـت أهلًا للثقة! تلفت حوله في السـايبر.. المرأة التي تضع ماكياج ثقيلًا كانت تدفع حسـابها وتغادر وهي تختلس النظر هنا وهناك كأنها تتوجـس من شـخص يراقبها. انتبهـت إليه وهو يضـرب الطاولة فقفز الماوس من على حافة الطاولة وتأرجح في الهواء.

هدى تتحداه لعلمها أنه عاجز عن اتخاذ قرار، يفضل الاستمرار في علاقة فاشلة ولا يخسر كل شيء. عاش حياته كلها يدور حول أحلامه دون أن يحقق أي شـيء، توقع أنه سـيكون إنسـانًا آخر بعد الزواج لكنه استمر كما هو. حبل السعادة كان قصيرًا جدًّا، أقصر مما تصور. تحول إلى حبل مشنقة. هو يشد من طرف وهي تشد من الطرف الآخر. كنت

t.me/qurssan

تتصور أنك ستعيش قصة حب مثل التي يحكون عنها في الأفلام.. تصورت أنك ستسعدها وتشعرها بالدفء والأمان. لها حق لأنني لا أبالي بتفاصيلها. لا أنتبه أنها ارتدت فستانًا جديدًا أو غيرت لون الروج الوردي! لا أقول لها كلامًا معسولًا مثل زملائها الرسامين! لا يمكنها تجاهل أنني أحببتها فعلًا. تمنيت أن أعيش معها إلى الأبد وربنا رزقنا طفلة جميلة. طورت نفسي في أمور كثيرة. للأسف ثبتت صورتي بطريقة سيئة.. دائمًا تسيء تفسير تصرفاتي.. دائمًا تلومني لأنني لا أتوقع ما تفكر فيه.. أين هو الرجل الذي يستطيع أن يتوقع ما تفكر فيه امرأة؟! طبعًا لا أهديها الزنابق من وقت لآخر.. وهاهو أستاذها العاطفي يهديها الزنابق ويعزمها على شاي بالنعناع. لم تقدر تعبي واضطراري للعمل ورديتين في شركة المحاسبة كي لا يقل مستوى حياتها عما عاشته في بيت أبيها. من أين لها إحساسها بالتعالي؟! والدها في النهاية لم يكن في وضع أفضل كثيرًا من والدي.. والمضحك في الموضوع أن فالنتينو يدلعها «هدهد»!

ظل مستسلمًا للبحلقة، يكاد أنفه يلتصق بشاشة الكمبيوتر، هل يذهب إليها ويواجهها وتكون فضيحة أمام ليلى.. وأمام الجيران؟ يشعل سيجارة من سيجارة، على غير عادته. العلاقة انهارت منذ زمن بعيد، برسالة علوي ومن غيرها. كانت مستمرة شكليًّا فقط أمام الناس.. من يقول إن الطلاق قرار سهل؟ ما ذنب ليلى؟! لو واجهتها ستقول لي أنت إنسان شكاك وتغار من نجاحي! أي نجاح وهي تعمل سكرتيرة في الظل؟ إذا كانت تكره الزواج إلى هذا الحد لماذا وافقت؟ وإذا كان

t.me/qurssan

هذا الكلب يحبها من أيام الكلية لماذا لم يتقدم إليها؟ هل عليّ أن أدفع ثمن تاريخها القديم؟ هل الزواج هو الذي ضيع روحها البريئة؟ المرأة بطبعها ماكرة تستعرض كي تنال الإعجاب من كل رجل إلا زوجها! أنيس منصور معه حق حين قال: «المرأة حيوان استعراضي». الزواج ليس سوى وهم يشعرك في لحظة بالسيطرة والنجاح والسعادة وفي لحظة بالتعاسة والزهد في كل شيء.

بمرور الوقت، ازدادت كثافة الدخان في السايبر، فبدت وجوه الجالسين وراء أجهزة الكمبيوتر مثل أشباح في فيلم مصاصي الدماء.

في تلك اللحظة اجتاحت رسالة من «بوديكا» حسابات الآلاف. ليس فيها سوى لينك وجملة واحدة: «اعرف تاريخ وفاتك».

أي شخص كان سيدرك بسهولة أنه «فيروس»، لكن عبد الرحمن فتح اللينك في لامبالاة، فقاده إلى صفحة بمجرد أن يضع المرء اسمه تظهر له صورة شاهد حجري مدون عليه الاسم وتاريخ الميلاد وتاريخ وسبب الوفاة. جرب حظه فعلم أنه سيموت سنة 2036 عن 64 عامًا في حادث طائرة. رغم أنه حتى هذه اللحظة لم يركب طائرة في حياته! هل تعني هذه النبوءة أنه سينجح أخيرًا في تحقيق حلمه بالهجرة؟ هل سيكون ـ عندما يموت في سن الـ 64 ـ مهاجرًا للتو أم عائدًا من هجرة طويلة؟! على الأرجح، سيموت قبل والديه الماكرين!

t.me/qurssan

7

ما يكتبه العشيق يقرؤه الزوج

10:25 PM

مع عودة الموقع جزئيًا، أنشأ عدد من النشطاء الإلكترونيين هاشتاج «ماذا تفعل لو سقط الفيسبوك؟» وقدموا مجموعة نصائح، أهمها:

- عدم فتح أي لينكات مريبة
- التوقف عن إضافة أي شخص في الوقت الراهن
- حذف أي مواد ذات أهمية من الإنبوكس لعدم استغلالها.

وأكدوا أن الموقع يتعافى لكنه مازال معرضًا لهجمات أخرى تتطلب الحيطة والحذر، واقترح النشطاء على المستخدمين عدة طرق للدخول إلى حساباتهم في حال تعذر الدخول العادي، منها استعمال تطبيقات API أو خدمة الـ Hootsite.

كان الهاشتاج فرصة مثالية لسب ولعن مارك بن زوكربرج في الدنيا والآخرة! لكن عبد الرحمن حتى هذه اللحظة لا يستوعب على وجه الدقة ما يحدث. ناس كل همها العثور على طريقة لدخول الفيسبوك..

t.me/qurssan

وهـو كل همه في هذه اللحظة العثور على طريقة يدخل بها إلى الحياة التي كان يحلم بها. حياة تدور في رأسه ولا أثر لها في الواقع. حتى لو حاول التركيز في نصائحهم لن يفهم شيئًا بعدما قرأ للتو ما كتبه علوي إلى زوجته.

لم ينقطع عن نفخ الزفير المحبوس في صدره، ثم راح يقرأ الرسالة للمرة الثانية وهو يدقق فيما وراء كل سطر:

«مساء الخير يا هُدهد

أعلـم أنـك غاضبة.. لكنـني لا أريـد أن أعتذر.. محمـود درويش يقـول: «لا تعتـذر عما فعلت».. تعلمين أنني أحبك منذ سـنوات، قبل أن يصيبـك الزواج بكل هذه التعاسـة ويلون روحـك بالرمادي البارد. تذكريـن ونحـن نتجول فـي القاهـرة الفاطمية بين المسـاجد والبيوت وظلال الشمس نبحث عن منظور جديد للرسم. من بين كل زميلاتك كانت عيني لا تفارقك، تحرسك من بعيد وأنا أسمع ضحكتك الطفولية البريئة. عندما لمستك لأول مرة غمرتني رائحة مسكرة ينشرها جسدك. رائحـة خاصة بك أنت. أين ذهبت روحك يـا هدى؟ كنتِ حرة وقوية لا تلك المرأة الشاحبة التي تداري انكسارها وتسير مغمضة العينين على حافة الانهيار، مستسـلمة إلى يد مجهولـة تقودها إلى الهاوية.. افتحي عينيك وانظري إلى أعماقك.. اسـأليها: أين هدى؟ تعلمين أنني كنتُ مسـتعدًّا للزواج منك لكنك ارتبكت وضيعت أفضل فرصة. الآن أنت مكبلة بزواج بائس. لا أريد أن أقسـو عليـك أكثر. لكن أرجوك توقفي

t.me/qurssan

عن سـوء الظـن بي.. التمسـي لي العذر لأنني أريدك بالقـرب مني.. لا أنا ولا أنت لنا خيار في مسارات حياتنا. على الأقل يمكننا أن نخلق مسارًا سريًّا خاصًّا بنا.. نسافر.. نخرج.. نرسم ونرتشف قهوتنا معا في الصباح قرب النيل.. تذكرين مقهانا المفضل؟ كلما أتطلع إليك وأنت تجلسين وراء المكتب وترتبين المواعيد وتجاهدين كي يبدو صوتك متحمسًا أشفق عليك. وكما قلت لك من قبل.. لوحة «الجرنيكا» التي رسمها بيكاسو كي يصور ما عانته قرية جرنيكا الإسبانية من قصف وقنابل في الحرب الأهلية. أظن أنه رسم هذه الجدارية الكبيرة عندما نظر في عيني امرأة مثلك استسلمت لبؤسها.

أرجوك.. لا تضيعي الفرصة مرة أخرى.. وفي اللحظة التي أكتب إليك الآن فيها، أثق تمام الثقة بأن زواجك سينهار أقرب مما تتوقعين. وأراهن على الحظ أن تقرئي رسالتي وتتركي قلبك يقودك.. في كل الأحوال سأنتظرك، للمرة الأخيرة، غدًا في التاسعة صباحًا في كافيه «كومباني» وأنت تعلمين طبعا أين أجلس. وسيكون الشاي بالنعناع في انتظارك وباقة الزنابق.

ملحوظة: رجاء حذف الرسالة بعد قراءتها مباشرة ».

t.me/qurssan

6

ملك السبام

9:50 PM

تسلل زيزو إلى حساب هدى في ثوان.

«ملك ملوك العالم السري» كما يسميه عبد الرحمن.. وإن كان لا يعرف إلا القليل عما يقوم به، فمن بين ملايين الحسابات المزيفة اعترف له أنه يملك ما لا يقل عن عشرين أكاونت، منها: ملك السبام، حارس الليل، أبو حنظلة المصري، الشاعر والروائي عزيز مرقص، ياسمين الشام، الجنرال الخفي، دلوعة بولاق، طبيبك الخاص جدًّا.

أسماء، وأقنعة، كانت تتيح له حرية التنقل عبر صفحات العراة ومجموعات الأخوة السرية التي يتحرج الآخرون من ارتيادها دون قناع مناسب. حتى «السبام» أو أي نفايات يعتبرها أصحابها بلا أهمية، كان يستطيع الوصول إليها والنبش فيها.

كان يقول لعبد الرحمن إن عشرات السذج يوفرون له مجانًا منجم ذهب لا يجب تركه يضيع في متاهات الإنترنت. كل إنسان يكتب أشياء يظنها عادية وفي النهاية تجد لديك بنك معلومات عنه.

t.me/qurssan

رأى أعلى أيقونة «الرسائل» مستطيلًا أحمر صغيرًا بداخله رقم «1». أي أن هناك رسالة واحدة بإشعارها الأحمر مازالت مغلقة. فتحها ثم رفع نسخة منها على جهازه.

ما بين اختراقه لحسابها، ودخول هدى إثر تلقيها اتصالًا غامضًا بخصوص زوجها، ليس سوى ثوان معدودة.. لا قيمة لها.. وربما لو سبقته هي لذهبت الأمور في اتجاه آخر.

هل يحذف الرسالة من صندوق رسائلها، أم يتركها بعدما أخذ نسخة؟ إذا تركها مع عدم وجود الإشعار قد تنتبه إلى أن أحدًا ما قرأها واطلع عليها! فضل في نهاية الأمر أن يحذفها.

احتفظ لنفسه بنسخة لاستعمالها عند اللزوم، وأرسل نسخة إلى عبد الرحمن. ثم أراح رجليه فوق المكتب واستند بظهر الكرسي الخشبي على الجدار خلفه، واللاب توب فوق فخذيه. لكثرة ما يستند على الجدار أثناء جلوسه، ترك ظهر الكرسي خدوشًا محفورة في الطلاء الأصفر الباهت.

راح يقرأ الرسالة ويفكر في تداعياتها على عبد الرحمن. منذ أن توترت علاقته مع زوجته وشك أن بينها وبين الفنان التشكيلي أحمد علوي علاقة ما.. رغم عدم وجود دليل على شكوكه.. طلب منه أن يراقب صفحتها دون أن تشعر طبعًا. فبدأ فعلًا في مراقبة الإنبوكس، ورصد شبكة أصدقائها المتفاعلين معها وهم لا يزيدون عن أصابع اليد

t.me/qurssan

الواحدة، خالها، وصديقتها منال السمري وديفيد صديقها، وإن كانت علاقة الأخير مع هدى لا تزيد عن لايك متبادل مرة كل أسبوع.

انتبه زيزو إلى أن إجراءات الحماية ليست بصعوبتها المعتادة، فالألبومات التي يضعها أصحابها في نطاق الخصوصية كانت متاحة له، وأكثر من إنبوكس انفتح أمامه بسهولة غير متوقعة. قرر أن يستثمر كل ثغرة تتاح أمامه هذه الليلة، وخلال ثوان، غادر صفحة هدى.. إلى صفحة مينو حبيبة قلبها، فهي أكثر إثارة. وأيضًا يطاردها علوي ابن المحظوظة، رغم أنه أستاذ في الجامعة ومتزوج، وأكبر منها في السن! كان لا يتوقف عن إرسال الرسائل الخاصة إليها، مرة يبدي إعجابه بحذائها الأحمر ومرة بتسريحة شعرها الغجري! غالبًا لا يترك أي بوست لها من دون تعليق.

للمرة الثالثة أو الرابعة خلال هذا الأسبوع فقط، فحص ألبوم صورها. توقف قليلًا أمام صورة أضافتها قبل ساعات. كانت ترتدي بلوزة بيضاء عليها رسمة وردية غامضة. بلوزة ضيقة لإبراز ارتفاع صدرها وهي منحنية للأمام انحناءة خفيفة. كان وضعها مثيرًا، خصوصًا أن ديفيد كان يعانقها من الخلف، وهي مشغولة برفع شعرها المفلفل بيدها إلى أعلى. أعاد تكبيرها ضعف الحجم الطبيعي. خمن أن الصورة التقطت عبر مرآة. تثيره سمرتها الخفيفة وشهوانية شفتيها المنفرجتين قليلًا. ربما كانت تقول لعشيقها شيئًا مغويًا لحظة التقاط الصورة. شيئًا يكاد أن يسمعه بمجرد النظر إلى شفتيها.

t.me/qurssan

بدلًا من أن يعبر عن إعجابه، رفع نسـخة من الصورة. فأصبح لديه نسخة من رسالة علوي العاطفية، ونسخة من صورة منال وعشيقها.

ثم أرسل إلى منال رسالة يحذرها من علاقتها بالمدعو ديفيد عميل السي آي إيه والموساد، وأن كل تحركاتها معه مراقبة بأمارة استعدادها للخـروج والسـهر معه الليلة فـي مطعم أندريا. كان قـد علم بذلك من رسالتها إلى علوي، واطلع عليها بكل سهولة.

فـي نهاية رسـالته، لامها زيـزو لأنها تفضـل أن يركعهـا الأمريكي مثـل النعجـة ويضاجعها.. ولا تسـمح للمصـري أن يلمسـها - يقصد علوي - وأبدى استعداده إذا كان عندها عقدة من المصريين، أن يحل لها العقدة في أي وقت يناسبها.

t.me/qurssan

5

امرأة وأرجوحة ومرآة

9:50 PM

للمرة الثالثة تلقت هدى رنة من رقم غامض.

كانت قد غادرت عملها منذ ساعتين ثم ذهبت للتمشية على الكورنيش والتفكير في لا شيء، قبل أن تأخذ قرار العودة إلى البيت.

وضعت مفاتيحها وكيس الفاكهة على مائدة السفرة ثم تنفست بعمق كأنها تسترد روحها الهاربة منها. انعكس وجهها الشاحب باهتًا على زجاج المائدة الشفاف. ظلت تلهث لدقائق وهي واقفة بعد صعود أربعة طوابق. خلعت حذاءها الأبيض ورفعت رجلها اليمنى وهي تحافظ على توازن جسدها. وضعت مشط رجلها على كرسي المائدة وانحنت تتحسس انحباس الدم على عُقل أصابعها المحمرة، بسبب المشي طويلًا على الكورنيش! للحظة تخيلت وهي منحنية، لو كان زوجها خلفها ـ الآن ـ ورآها في هذا الوضع لداعب مؤخرتها، كعادته الطفولية التي لا تروق لها.

t.me/qurssan

حولها، على جدران الصالة، توزعت أربع لوحات من رسوماتها، مؤطرة بإطار خشبي قاتم، وتظهر فيها كلها امرأة وحيدة تشيح بوجهها عن الرائي. كانت تؤمن أننا لا نرى اللوحات فحسب بل نسمع ـ لو أنصتنا ـ أصوات من يعيشون فيها.

أقرب اللوحات إلى قلبها، تلك اللوحة التي كانت تواجه باب الشقة مباشرة حيث تجلس امرأة في أرجوحة معلقة بين شجرتين، وتعطي ظهرها لمن يراها. مع التفاتة وجهها قليلًا إلى اليسار، يظهر نصف الوجه الآخر منعكسًا على مرآة في يدها.

لا تنكر أنها كانت متأثرة بطريقة رينوار في رسم وجوه النساء. بالنظرة الجانبية والشرود والحزن الشفيف وانكفاء الجفنين فيما يشبه النوم كأنه حوار داخلي مع النفس. تعتقد منذ أن كانت طالبة في كلية الفنون الجميلة أن كل امرأة رينوارية تروي، وهي مطبقة الشفتين، هزيمتها في قصة حب.

من يومها، وهي مولعة بالنظرة غير المباشرة للوجوه، وهي تنعكس على المرايا والأسطح الزجاجية والأشياء المعدنية اللامعة، شيء ما يتغير في نسب وتكوين الوجوه. رعب.. أو حزن غامض يطل منها، كأنها تحذرنا من مصير مفجع ينتظرنا. تحذرنا من وحدتها الأبدية داخل إطار اللوحة. امرأة وحيدة، منسية مثل كوخ مهجور، لا أحد يعرف قصتها.

t.me/qurssan

«امـرأة وأرجوحة ومرآة» هكذا أطلقت على لوحتها. كانت تكتفي بنظـرة عابـرة إليهـا كلما عادت فـي المسـاء. تتمنى لو تُلقي بجسـدها المتعب على الأرجوحة بدلًا من تلك المرأة. هناك تغمض عينيها إلى أن ينساها العالم.

كانت والدتها تنتظرها في جلستها المعتادة، تحت لوحتها المفضلة. تراقـب دخولها وهـي صامتة ومتعبة كأنها على وشـك البكاء. وكانت ليلى مستلقية وهي تضـع قدميها في حجر جدتها وتكركر من الضحك على حركات ومقالب توم وجيري على mbc3. تنتظر أن ينتهي مشـهد معين قبل أن تجري نحو أمها.

أخيـرًا قفزت ليلى نحوهـا والتفّت حول سـاقيها المتعبتين. قبلتها هـدى في خديهـا وجبينها وهي تتعمد أن يكـون لقبلاتها صوت مرح. انتبهـت إلى رنـة الموبايل في يدهـا. نفس الرقم المجهـول يرن عليها مرة ثالثة أو رابعة، فوجئت بامرأة تدعي أنها صديقة مخلصة، رغم أنها لا تعرف صوتها ولا اسمها.

ابتعدت إلى ممر المطبخ شبه المعتم وهي تكلمها بصوت خفيض ومرهـق. أخبرتها بلهجة سـوقية تتشـفى فيها، بأن المحـروس زوجها المحتـرم موجـود الآن مـع حبيبة قلبـه "مهلبية" في حوار سـاخن جدًّا على الفيسبوك.

نغمـة الموبايـل الرقيقـة لا تعني أبدًا أننا سـنتلقى اتصـالات تفرح قلوبنا! أسـرعت إلى اللاب توب. كان الموقع بطيئًا جدًّا في التحميل،

t.me/qurssan

والصفحة الزرقاء تكاد تنهار وتتلاشى أمام عينيها قبل أن يكتمل التحميل. أخيرًا دخلت صفحتها! قائمة الشات المنسدلة كانت أونلاين، بجوار يدها اليمنى. ضغطت على اسمه مرتين فانفتحت نافذته أمام عينيها:

- «مساء الخير يا عبد الرحمن»

ما تكتبه، كان - على غير المعتاد - يأخذ وقتًا طويلًا قبل أن يظهر في النافذة. وكانت كل جملة تتكرر أمامها مرتين.. كأن ظل الجملة يتبعها.

قرأ عبد الرحمن ما كتبته زوجته، ولم يرد. تروقه صورتها الصغيرة جدًّا والمبتسمة في البروفايل. فعلًا العالم - كما يقولون - أصبح قرية صغيرة.. رغم أن الأرض هي الأرض منذ آلاف السنين، فبعد أن كان الرجل يحرص على أن تبقى زوجته في مكان وعشيقته في أبعد مكان عنها، هاهو الفيسبوك يجمعهما.. تلك هي العظمة.. عشيقتك في نافذة صغيرة، وزوجتك في نافذة مجاورة. الاثنتان على صفحة واحدة، في لحظة واحدة! وليس هناك ما يمنعك أن تقول لهما الكلام العاطفي نفسه!

- «ليلى بنتك سألتني عليك»

حتى لو تحولت حياتهما إلى جحيم كما يدعي، تبقى ليلى بابتسامتها الكبيرة وحركاتها المضحكة، نقطة ضعفه. أصر عبد الرحمن أن يقاوم

t.me/qurssan

ولا يبتلع الطعم، وإن كان حواره مع مهلبية ارتبك قبل أن يبدأ.

كانت تكتم غضبها وتجره إلى الكلام معها.

Seen 10:00 pm

هـذه الجملـة اللعينة دليل على أنه قرأ رسـالتها للتو، وتجاهل الرد عليهـا. كلما مضت الدقائق تأكدت أنه لن يـرد. ربما يرتب كذبة متقنة قبل أن يتعطف بالرد.

لم تجد أي رسـائل في الإنبوكس بعد أن فتحته لاشعوريًا. توقعت رسـالة لطيفة من شـخص ما، حتى لو كانت لا تعرفه جيدًا. وسـط كل أسـباب الاكتئـاب يمكـن أن نعثر فجأة على رسـالة مـن صـديق. كلمة حلوة. ساعتها فقط يمكنها أن تنام بلا مهدئات.

مـا ضايقها أكثر أنها رأت النافذة الأخرى التي يتحدث فيها زوجها مـع المدعوة مهلبية مفتوحة أمامهـا. لا تعرف كيف حدث ذلك! لكن كان بإمكانهـا قراءة دردشـة الاثنين معًا، ورؤية تلك النقاط التي تشـي بأن أحدهما يكتب شيئًا للتو ولم يرسله بعد.

ـ «وحشتك؟»

ـ «طبعًا»

اكتفـت بقـراءة مقدمة حـوار زوجها مـع مهلبيته! كانـت مصدومة وفي نفس الوقت شـعرت بالخجل من التلصص على تفاهاته. زوجها

t.me/qurssan

المخلص يتجاهل الرد عليها بـ«مساء الخير» إلى أن يحلف لـ«مهلبية» أولًا أنه لا ينام الليل من كثرة التفكير فيها!

عندما تتنابها مشاعر متضاربة كانت تحن إلى صوت وردة. تحتفظ بـكل أغانيها في فولدر علـى الكمبيوتر. صديقتها مينـو ترى أن ذوقها قديم في الأغاني وفي الرجال أيضًا! اختارت كل الأغاني وفتحتها في ملف واحد:

«آه.. لو الأيام بتتكلم كانت قالت عملنا إيه!»

t.me/qurssan

4

دوائر خضراء مضاءة

9:30 PM

بسبب شعورها أن هناك أمرًا مريبًا، هذه الليلة، غيرت مهلبية اسمها إلى «وحش الفيسبوك»، وبدلت صورتها الوهمية في البروفايل إلى صورة وهمية أخرى لفتاة ممتلة قليلًا عارية الذراعين وصدرها المكشوف يثير ما لا يُحصى من تنهدات الرجال، حسرة على ما لا يُطال ولا يُقال!

كان زيزو أول من انتبه إلى تغير البروفايل فسألها عن صاحبة الصورة الحقيقية فأخبرته أنها نسختها من موقع إباحي خاص بفتيات عربيات وإسرائيليات.

من سيهتم إن كانت تلك صورتها فعلًا أم استعارتها من جسد آخر لا تعرفه! من سيفكر إذا كانت صاحبة هذا الصدر حية أم ميتة؟ تكفي صورة واحدة عارية كي تسلب عقول الرجال فيتساقطوا حولها كالذباب! فبعد دقيقة واحدة فقط علق أحدهم تحت الصورة:

ـ «وحش جامد فعلًا»

t.me/qurssan

كانت تستمتع بإذلال أشخاص مثل هذا التافه الذي علق للتو. الأمور كلها خاضعة لمزاجها. مصابة بلعنة لا تعرفها.. وعلى شخص آخر -وليس هي- أن يدفع الثمن.. لعنة تجعلها لسوء حظها، مقيدة من رجليها باستمرار إلى أردأ أنواع الرجال. يحكمون شباكهم حولها إلى ما لا نهاية.

بعد تبديل صورة البروفايل، فتحت قائمة «الشات» وتطلعت سريعًا في الدوائر الخضراء، في انتظار أن ترى الدائرة مضاءة أمام اسم عبد الرحمن.

كان هناك 17 دائرة مضاءة يتحدث أصحابها مع آخرين، أو ينتظرون شخصًا يتحدث معهم.

لا تعرف لماذا كانت تلح عليها رغبة غامضة في تدمير ما تبقى من حياة عبد الرحمن! مع أنه لم يسئ إليها في أي يوم من الأيام.. منذ أخبرها بترك شقة الزوجية، وهي تفكر في مساعدته في الطلاق. فكرت أن تدعوه إلى زيارتها الليلة، ثم تتصل بزوجته كي تأتي لاستلامه.. لولا الخوف من الفضيحة لاستمتعت برؤيتها وهي تهجم عليه وتفترسه بأسنانها. أيضًا فكرت في نسخ ليالي الشات كلها وإرسالها إليها. هي لا تكره عبد الرحمن، بالعكس هي متعاطفة معه، لكن طالما يرغب في الطلاق لماذا يجبن ويتردد؟ لماذا يعود إلى أحضانها إذا كانت فعلًا تنكد عليه عيشته كما يقول؟! ألف مرة كرر أمامها أنه سيطلقها ويهاجر! الأفضل أن تحدث له مصيبة تقطع عليه طريق الرجوع. حتى لو بادرت ودعته الآن للنوم معها، سيتحمس في البداية ثم يتراجع ويخبرها أنه

t.me/qurssan

ليس مستعدًّا. وإذا جاء لن يصمد معها. تكره في أعماقها الرجل الذي يخاف من المرأة ويتصور النوم معها مثل فتح عكا!

كانت قد أغلقت باب غرفتها بالمفتاح من الداخل، واستلقت في السرير. اللاب توب بغطائه الرصاصي في حجرها.. وقد وضعت رجليها العاريتين فوق وسادة مزركشة بالورد. كانت ترتدي قميص نوم أزرق شفافًا من قطعتين، يشبه ملابس الجواري في الأفلام القديمة.

لا تنسى يوم أن تحدثت معه عن الجنس بكل صراحة. أخبرته عن أول بنت فرجتها على صور إباحية لرجلين وامرأة، وهي في أولى ثانوي.. كان يرى الحول الخفيف جدًّا في عينها اليسرى، مثيرًا.. وهي تتكلم.

أول مرة نام معها، رآها سخية الكتل، جسمها يشبه فتيات أفلام البورنو الإيطاليات، بأجسادهن المرمرية اللدنة، عندما أخبرها بذلك، ردت بأن جسدها يشبه إلهة الخصوبة عند الأمازيغ القدامى! فاجأته إجابتها الغريبة فهو أصلًا لا يعرف من هم الأمازيغ القدامى، لكنه كان يكركر من الضحك كلما تذكر ردها. خمن أنها التقطت هذه الجملة من أحد عشاقها العرب.

ابتسمتْ في سرها عندما تذكرت تلك المرة التي استبدت بها رغبة مجنونة في عض خده، وكيف راح يتفلت منها كالطفل وهي تعض وتلعق خده بخشونة لسانها ولعابها..أكثر عشاقها حنانًا وضعفًا واستسلامًا لنزواتها. كثيرًا ما فكرت فيه باعتباره أنسب زوج من بين

t.me/qurssan

كل الرجال الذين عرفتهم. لو تجرأ وطلق زوجته لن تتردد في طلب الطلاق من رشدي كي تتزوجه. صحيح هو يعرف الكثير عن مغامراتها بما في ذلك علاقتها مع أعز أصدقائه، لكنها أيضًا تعرف كيف تقنعه بخطوة الزواج ونسيان أي شيء آخر.

أخيرًا رأت الدائرة الخضراء مضاءة أمام اسمه. ضغطت عليها، فظهرت نافذة عبد الرحمن. سألته:

- «وحشتك؟»

- «طبعًا»

سألها عما ترتديه. فضلت أن تثيره وتلاوعه:

- «خمن أنت!»

- «عريانة؟»

ارتبكتْ وعقدت حاجبيها وهي تبحلق في نافذة شات أخرى، ظهرت فجأة أمامها. قرأت بوضوح اسم «هدى محمود» زوجة عبد الرحمن. أثارها الفضول.. ماذا يقول لزوجته الآن في نفس اللحظة التي يتكلم فيها معها؟ لم تجد ما يشبع فضولها باستثناء جملتين: «مساء الخير يا عبد الرحمن.. ليلى بنتك سألتني عليك»! ابتسمت لهذا الانتصار الصغير. فها هو يتجاهل الرد على زوجته، ويركز بكل حواسه معها، في انتظار فقط أن ترد على سؤاله بكلمة واحدة: «آه.. عريانة»! حتى لو لم تكن كذلك.

t.me/qurssan

3

سايبر الملاك الأزرق

9:10 PM

وصلته رسالتها بالنغمة الإيقاعية المعتادة. أضاءت شاشة الموبايل عتمة غرفته التي عاش فيها سنوات العزوبية. قرأها مستلقيًا على السرير المقابل لدولاب بُني من ضلفتين.

ـ «قابلني على الفيسبوك»

ـ «النت مفصول»!

ـ «انزل ادفع لك خمسة جنيه في السايبر»

ابتسم عبد الرحمن ونهض. في خمس دقائق ارتدى كوتشي أبيض، وتي شيرت أحمر بخطوط زرقاء يشبه فانلة برشلونة على بنطلون جينز. سمع سعال والده في الصالة. كوب الشاي الساخن كما هو، على الطاولة الصغيرة، دون أن يلمسه. تأمل البخار الخفيف يتصاعد من الكوب إلى لا مكان.

t.me/qurssan

لا يستطيع أن يتأخر عن دعوة «مهلبية». إنسانة مرحة ومستعدة لسماع همومه في أي وقت. تثيره بحة صوتها الخفيفة مثل صوت البطة، وهي تحكي له عن غرامياتها، وتسخر من سذاجة أسراره الجنسية مثل الاستمناء خمس مرات في اليوم الواحد، في زمن المراهقة الجميل، على حد تعبيره.

عندما رآها لأول مرة، وهي تصعد سلالم المترو في محطة البحوث، تفحصها من الخلف، بالكعب العالي والتصاق العباءة السوداء باستدارات جسمها، ورائحة الصابون والعرق. غموض جسمها الرجراج المخفي تحت النقاب كان له جاذبية مؤلمة، وهي تخطو بتثاقل أعلى منه بأربع درجات. العباءة ملتفة على تموجات واهتزازات قاتلة. وهي كانت تعرف كيف تهز ردفيها من تحت العباءة بثقة ودلال. ترفع ردفًا وتخفض ردفًا في إيقاع ثابت، ولا تجر مؤخرتها مثل هزيمة.

لم يهدر الفرصة حين سقطت منها تذكرة المترو فتناولها وأسرع وراءها.

ـ «اسمي عبد الرحمن.. محاسب»

رفعت الغطاء عن فمها وابتسمت. سألها وهو يمد يده بالتذكرة:

ـ «اسمك سر؟!»

ضحكت وسكتت.

t.me/qurssan

كانت أول منقبة مرحة يلتقيها في حياته. علم من أول دردشة معها أنها تعيش في بولاق الدكرور مع زوج أمها التي توفيت منذ ثلاث سنوات لكن أصولها من سوهاج. فيما بعد، أخبرته أن زوج أمها الحشاش حاول الاعتداء عليها غصبًا عنها.

التقط علبة السجائر ومفاتيح الشقة في يد، و«الموبايل» في اليد الأخرى، وخرج إلى الصالة.

لمح بطرف عينه والديه العجوزين يجلسان على الصوفا، وبينهما فراغ لا يقل عن متر. كل منهما مستغرق في عالم خاص به. جلستهما التاريخية المعتادة منذ سنوات. كانت شاشة التلفزيون مفتوحة على قناة «روتانا» ومطربة لبنانية تغني أمامهما وهي تقود سيارة مكشوفة وتتباهى بصدرها.

على الأرجح هما شاردان. لا يعرفان من تغني ولا ماذا تقول كلمات الأغنية! ملامحهما بمرور الزمن تزداد تشابهًا كأنهما توءم وليسا زوجين! خلفهما على الجدار صورة ملونة لعبد الناصر يسير مبتسمًا مع نجله خالد في شارع خال من البشر والسيارات. كلما طالع الصورة استغرب لأنها تخلو من ابتسامة زوجة عبد الناصر. في أوقات أخرى تخيل أمه تسير بجوار عبد الناصر وابنه، ثم جرب وضع جسد أبيه المحني بدلًا من جسد عبد الناصر الطويل.. وهو بدلًا من نجله، وانتهت تخيلاته إلى أنه ليس لديه صورة يسير فيها مبتسمًا كأي طفل مع والديه.

t.me/qurssan

أمـه مازالـت تملـك نظـرة الصقـر الحـادة التـي لا تثـق فـي أحد، بملامحهـا الخشــنة والمتجهمـة كانت تتابـع خطواته وهـو يخرج من الغرفة نحو باب الصالة، ثم يعود إلى الغرفة لأنه نسي شيئًا.

أبـوه كان يجلس بلحيتـه الخفيفة ويقطع صمتـه الطويل ـ كعادته ـ بصيحـة واحـدة لا يغيرهـا: «يـا كريم يـارب». أرجلهـم الأربع كانت تتدلـى قـرب الأرض وهـي مختبئـة فـي جـوارب شـتوية سـميكة، رغـم أننا لســنا في فصل الشـتاء. آخر كائنين يعيشـان مـن دون موبايل ولا إنترنت! أمه طلبت منه ألا ينســى شـراء كيلو لبن من خضر البقال، وهـو عائد. أبوه لم يسـأله كالمعتاد أين يذهب في هذه السـاعة؟! منذ زمـن، لم يعـد يعرف سـاعات الليل مـن سـاعات النهـار. أحيانًا كان يوقظـه ليلًا كـي لا يتأخر عـن صلاة الجمعة! يعتقـد على نحو غامض بأن إحباطاته الجنســية كلها سببها المبالغة في طاعة والديه اللذين قُدر لهما أن يعيشا أكثر مما يجب.

بعدما أعطى ظهره لوالديه ودفع مقبض باب الشقة إلى أسفل، شعر بهما يتطلعان إليه من الخلف. أحس أنهما لم يعودا شخصين حقيقيين، ليسا سوى شبحين قررا أن يتسمرا أمام شاشة التلفزيون ويسخرا منه.

أحيانًـا كان يتخيل عزرائيل عندما يأتي لقبض روح أحدهما، حتمًا سيشعر أنه من المروءة أن يقبض روح الآخر معه أيضًا. ساعتها سوف يعود متأخرًا كعادته، ليفاجأ بهما منكفئين لأسفل على الصوفا التي ظلا يجلسـان عليها لسنوات.. وسيكون التلفزيون كما هو، يبث الأغاني.

t.me/qurssan

كان مدخل العمارة غارقًا في العتمة والرطوبة. على بعد خطوات تنبعث رائحة نتنة من صندوق قمامة على ناصية الشارع. أكوام الزبالة كانت تفيض على حوافه وعلى الأرض حوله. أكثر من مرة فكر في سكب البنزين عليه كي يستمتع سكان شارع فيصل كله بالرائحة.. رائحة ما يتبقى من حياتهم اليومية!

واصل السير بلهفة. سيارات السرفيس التي تشبه ضفادع بيضاء، والأتوبيسات، كلها كانت متوقفة كأنها في يوم الحشر.. الناس مستسلمة في داخلها. رأى بلا اكتراث لافتات وبوسترات على الحيطان لتأييد مرسي وشفيق. «كلهم من أجل مصر ونهضة مصر وشعب مصر!». أحد البوسترات نُزع منه وجه «أبو إسماعيل» فلم يبق منه سوى «لحيته» الكثة الرمادية!

أشجار قليلة هنا وهناك هي كل ما تبقى من مجد هذه المنطقة التي تحولت من بساتين وقصور لباشوات زمان إلى شقق ومحال تجارية وشوارع مزدحمة بالبشر والتكاتك والزبالة وعربات الترمس.

تجاوز مكتبة «هارفارد»، ووصل إلى سايبر «الملاك الأزرق» بلوحته الخشبية المتهالكة. على الناصية المقابلة محل عصير «عباد الرحمن» وأمامه مجموعة ملتحين بجلابيبهم البيضاء وزوجاتهم المنقبات. لابد أنهم عائدون من تأييد «أبو إسماعيل» الذي مازال يؤكد أن أمه ليست أمريكية. في داخل المحل عُلقت لوحة مذهبة،

t.me/qurssan

بعـرض الجـدار، لأسـماء اللـه الحسـنى. كان صـوت مقـرئ القرآن صحراويًّا جافًّا ومنفرًا.

علـى الجهة الأخـرى، محل أسـماك «البحر الكاريبـي» ولا زبائن أمامه عدا صاحب المحل الذي كان يدخن الشيشة ويحلق بلا مواربة في مؤخـرات المنقبات، الثقيلة، الملفوفة. كانـت المؤخرات مختلفة الأحجـام وهـي تتحرك أمامه ببطء مثير، أما الرؤوس فكانت متشـابهة وهي تشرب عصير القصب من تحت الغطاء الأسود.

سـايبر الملاك الأزرق، ومكتبة هارفارد، ومحل أسماك الكاريبي، ومحـل عصيـر عباد الرحمن، والعمـارة الجديدة نفسـها التي يقع فيها السـايبر، كلهـا ملك ثلاثة أشـقاء ورثوا عن والدهم ثـروة لا بأس بها، بدأهـا مـن «مقلـة لب». مـازال يؤمـن أن والده لـو كان فتـح مقلة لب لأصبـح مصيـره أفضل مليون مرة من مصيـره الآن، كابن وحيد لمدير عام في التربية والتعليم على المعاش.

كان السـايبر يحتـل بـدروم العمارة. أمامهـا ثلاثة أو أربعـة براميل صدئة ومحروقة. هبط على سلم خشبي صغير. بدا السايبر من الداخل معتمًا للوهلة الأولى. ضوء أحمر خفيض، وسـحابة من دخان سجائر الزبائـن تتمـاوج وترتفـع قرب السـقف. كانت شـفيقة تغني بخشـونة صوتها الرجالي:

«غلطة مين.. أنا ولا أنت.. غلطة مين؟»

t.me/qurssan

دفع خمسة جنيهات مقدمًا، ثم تطلع في وجوه الزبائن. معظمهم من المراهقين من شباب الثانوية وطلاب الجامعة. في الزاوية على يمينه مباشرة كانت تجلس امرأة تضع مكياج ثقيلًا مزيجًا من الأخضر والأحمر والأزرق. ملامحها توحي بالغلظة والغلمة. كلما سحبت نفسًا من سيجارتها كانت تغمض عينيها. كأنها تريد أن تنسى ماضيها كله في نفثة سيجارة. هي الوحيدة التي نظرت في عينيه بشكل مباشر بعدما هبط السلم وتابعت انحناءة ظهره الخفيفة وهو يجلس ويمسك الموبايل بالقرب من أذنه.

رن على مهلبية قبل جلوسه مباشرة.

عبد الرحمن لا يتذكر اسمها الحقيقي. قد لا يصدقه أحد إذا قال إنه يقيم علاقة مع امرأة منذ عشرة أشهر ولا يعرف اسمها!

عندما أخبرها باسمه الحقيقي «عبد الرحمن»، أخفى لقب العائلة «غرس الدين». لقب ثقيل.. يكفي أن تنطق اسم «عبد الرحمن غرس الدين» أمام أحدهم فيحسبك حجة الإسلام!

كانت أجهزة الكمبيوتر في السايبر موزعة على شكل حدوة حصان. أصوات الضجيج في الخارج بدت بعيدة ومكتومة، كأنها آتية من حلم. لم يكن متاحًا أمامه إلا الجهاز رقم «7». عمومًا هو يتفاءل بهذا الرقم. سحب الكرسي الخشبي وعندما حرك الماوس سطعت الشاشة أكثر بضوء أزرق. كان على سطح الجهاز صورة لجزيرة خضراء يلتف حولها بحر تجمد في حالة صاخبة.

t.me/qurssan

فشل أكثر من مرة في دخول صفحته. كانت تطالعه العبارة ذاتها:

Sorry, something wrong.....

نادى من مكانه على مسئول السايبر.

ـ «يا كابتن.. الفيسبوك ماله؟»

ـ «عطلان من أميركا»

الخميس الماضي ترك شقته لزوجته وابنته ليلى وعاد للإقامة مع أبويه في شقتهم القديمة. عادة لا يبالي إلا بعد وقوع المصائب فوق رأسه، ساعتها فقط يبتعد ـ مؤقتًا ـ عن مهلبية وتهبط عليه حكمة الأنبياء، ويضبط نفسه وهو في طريقه للصلاة في مسجد الدعوة السلفية خلف عمارتهم.

انتبه إلى صوت المرأة بجواره. مازالت تدخن ولا تبالي بصفحة ياهو المفتوحة أمامها. أحس بها تبذل جهدًا عنيفًا بملامحها كي تكبح طبقة صوتها العريضة وهي تكلم شخصًا ما:

ـ «انس حكاية السفر للرياض.. أنا مش خرّابة بيوت».

يد لا يراها غيرت القناة في تلفزيون 14 بوصة معلق أمامه على حامل حديدي. ظهر فيلم كوميدي أبيض وأسود، ودخل شرطي فجأة كان يرتدي الطربوش على بدلته الشتوية الرسمية. اقتحم الشرطي غرفة نوم ثم أشار إلى الأمام باتجاه شخص غير مرئي وهو يصيح:

«اقبضوا عليه»!

t.me/qurssan

2

رقصة تانجو مع زوكربرج

9:00 PM

ضغطت مهلبية بأصابعها على مفاتيح الموبايل. كانت تفكر في شخص تشيّت معه، ليس بالضرورة عبد الرحمن لكنها لاشعوريًا أخرجت اسمه من القائمة: «عبد الرحمن» . بجوار الاسم «شرطة» ثم «فيصل»، هذا ليس اسم أبيه، بل المنطقة التي يعيش فيها.

مهلبية تفضل الشات في الفيسبوك، فهي تستطيع بسهولة تنظيف النافذة وحذف كل الكلام دون أثر، بينما فشلت في ذلك على «الياهو». عندما تصاب بالملل، تمر بلحظة احتياج إلى الدردشة مع أحد. أي أحد والسلام! لكنها لا تعتبر نفسها مدمنة شات. كان بإمكانها طبعًا الكلام معه على التليفون! الأمر كله مجرد مزاج خاص. فمثلًا صديقتها «الأستاذة» وزوجها لا يشعران بالإثارة إذا تكلما مباشرة، بل يجلس كل منهما في غرفة ملاصقة للآخر ويندمجان أولًا في دردشة ساخنة عبر الشات، على أساسها يقرران هل يذهب إليها في غرفة النوم أم لا؟

t.me/qurssan

أحيانًا كانت تسأل نفسها كيف يدعي أحدهم أنه يحبها وهو لا يسمع صوتها ولا يرى ضحكة عينيها أثناء الكلام؟ عمومًا هي لا تلجأ إلي الشات كثيرًا، فقط عند الشعور بالملل والسأم من أصوات البشر. ولا تستعمل أبدًا اسمها الحقيقي. في نهاية الأمر الدردشة مجرد فخ لاصطياد السذج، ثم من يضمن ألا ينسخ الطرف الآخر كل ما قالته ويبتزها؟!

رغم انهيار أيقونات الفيسبوك انتبهت إلى كليب هزلي يتداوله الكثيرون. كان بعنوان «الجائزة الكبرى» ويظهر فيه زوكربرج وقد فتح الجاكت الذي يرتديه فتحول إلى جناحين، وراح يطير أعلى المعالم السياحية لمدن كثيرة.. البندقية .. النمسا.. موسكو.. طوكيو.. اسطنبول.. قبل أن يهبط في ساحة برج إيفل.

ظل يحلق وقتًا فوق رؤوس العشرات، وهو ينثر من جيوبه الرؤوس الفسفورية الضاحكة ويغمز بعينه. كان يرفرف في شبه دائرة أعلى حلبة الرقص في ساحة برج إيفل التي امتلأت بشباب وفتيات من جنسيات مختلفة. ملابس كرنفالية غريبة وضحكات وصيحات جنونية.

بدا وجهه ولدانيًا لا ينحاز إلى الرجولة ولا الأنوثة بعد تركيبه على جسد كاريكاتوري. تابعته مهلبية وهو يهبط في الساحة على إيقاع موسيقى «هللويا» وكان على رأسه قلنسوة بيضاء صغيرة، ثم راح يشق طريقه في الزحام رافعًا حرف f أزرق في يده. كان يبارك الحاضرين

t.me/qurssan

بوضع يده على مقدمة رؤوسهم.. وهم يلوحون له ويحاولون لمسه. ومن لا يستطيع لمسه كان يقذفه بوردة بيضاء.

هاهو زوكربرج قد جاء كي يُكافئ كل من يستطيع الحفاظ على صفحته ويمنعها من الانهيار. اتبعت مهلبية الإرشادات وضغطت على زر جانبي لتحميل صورتها الشخصية، وخلال ثوانٍ ظهر وجهها في الكليب مُركبًا على جسد كاريكاتوري يرتدي فستانًا أخضر لامعًا. كان حولها عشرات الوجوه والأقنعة يرقصون مثلها.. أوباما، بوتين، أنجيلا ميركل، بشار الأسد، محمد مرسي، آينشتاين، مارلين مونرو، البابا فرانسيس، كريستيانو رونالدو، أسامة بن لادن، مادونا، هتلر، جاك نيكلسون، كيم كاردشيان، ستيف جوبز، كيم جونج أون، أقنعة كنتاكي وميشلان وسبايدر مان.

ضغطت على زر آخر يمنحها الحق في رقصة تانجو مع زوكربرج نفسه. الجميع حولها في ساحة برج إيفل كانوا يرقصون ويتقافزون لأعلى.. بينما الكاميرا تتراجع بعيدًا لتراهم من السماء.. غابة هائلة من الرقص والحركات البهلوانية والأيادي الملوحة بحرف f.

t.me/qurssan

1

يوم القيامة الافتراضي

9:00 PM

سقطتْ صورة من بروفايل. مجرد صورة تركتْ إطارًا فارغًا.

تأرجحتْ... إلى أن استقرت في الأسفل مثلما تتساقط عملة معدنية في قاع دلو.

بعدها تداعت صور أخرى. وجوه كانت متأنقة ومبتسمة، تخلخلت من مواقعها.. راحت تتطاير وتتخبط في بعضها البعض وهي تنفصل عن أسماء أصحابها.

بروفايلات هائمة، يحملها ما يشبه سحابة دخان خفيفة. فوضى إشعارات حمراء. أيقونات تتساقط إلى أسفل.. عشرات الرؤوس الفسفورية البلهاء في حجم حبات العدس كانت تتطاير هنا وهناك.

كأن زلزالًا هائلًا، لا صوت له، فتت الوول إلى شظايا وأشلاء.. دفع آلاف الأيقونات إلى التبدد والتلاشي. أشياء لا حصر لها كانت تنزاح، تتداخل، وصور المستخدمين تتقافز بينها مثل السمك من ماء إلى ماء.

t.me/qurssan

سديم لانهائي من الأشكال غير المتماسكة كانت تتبعثر.. لحظات لا مثيل لها. كأن يدًا إلهية رفعت الوول العملاق للبشرية كلها، ونفضته في مجرة افتراضية، مثلما تنفض ربة منزل سجادة عتيقة في النافذة لتخليصها من الغبار والعثة.

لو قدر لزوكربرج أن يضع منظارًا على عينيه ويشاهد ما جرى في كونه الافتراضي في تلك اللحظة، لرأى أطنان الصور واللينكات في حركة دائبة. حتى جدران الإنبوكس انهارت فتطايرت الرسائل تفضح الأسرار المخبوءة.. صور حميمة، نكات فاحشة، أسرار أزواج مع أزواج آخرين.. رسائل غاضبة، رسائل لم يرد عليها أحد، ضحكات منسية «هههههههههه»!

فوق بقايا هذا الحطام العائم، ظهرت آليًا رسالة تحذير في مستطيل أحمر، ظلت تومض وتنطفئ.. هذا نصها:

«عملاءنا الكرام

ثمة خلل تقني يجري الآن التعامل معه.

اطمئنوا تمامًا على كلماتكم وتدويناتكم وصوركم العزيزة على قلوبكم، فكل ما تقومون به يتم إيداعه تلقائيًا في Storage Cloud وهي تشبه علبة ذكريات عملاقة تتسع للبشرية كلها. وسوف تتم استعادة أي ذكريات تهمكم فور معالجة الخلل التقني.

مع تحيات إدارة الفيسبوك»

t.me/qurssan

حـارس الفيسبوك

"انتشر "هاشتاج زوكربرج فضحنا"، وسرعان ما امتلأ بالنكات والشتائم ضد مارك زوكربرج الذي سرق بوستات ملايين الناس وأسرارهم وأعمارهم ثم تخلى عن الموقع وتركه ينهار هكذا. ابن العاهرة! لماذا أخذنا على غفلة ولم يخبرنا بموعد الانهيار؟ ولم يكن علي نجيب ليفوّت فرصة المشاركة في "الهاشتاج": "اسمحوا لي بسؤال يا أصدقائي: لماذا يستثار فضولنا لدخول الموقع كل لحظة وكتابة كل ما يدور في وعينا؟! أليس ما نمارسه أشبه بعرض "إستربتيز"؟! كل منا يمارس رقصته المفضلة. ساعتها نكتشف أننا لا نتصفح "الفيسبوك" بل "الفيسبوك" هو الذي كان يتصفحنا"!

شريف صالح، كاتب وصحفي مصري، صدر له ست مجموعات قصصية :أحدثها "دفتر النائم ". نال جائزة ساويرس عن مجموعته "مثلث العشق"، وجائزة دبي الثقافية عن مجموعته "بيضة على الشاطئ".. كما فاز بجائزة الشارقة

9 789777 950893

t.me/qurssan